العدد ٢١ ـ السنة الثانية ـ محرم ١٤٠٥ هـ ـ أكتوبر ١٩٨٤ م



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين

على أبواب العام الجديد
هل جاء وقت المراجعة؟

قضية مصر

قبرص الإسلامية

ملاحظات حول التاريخ الفلسطيني الحديث





بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

على أبواب العام الجديد
هل جاء وقت المراجعة ؟

ها نحن ندخل إلى عام هجري جديد ، والعديد منا يرجعون بذاكرتهم إلى ذلك اليوم التحولي في تاريخ البشرية كلها ، حين بدأ صلى الله عليه وسلم خطوات هجرته الأولى في طريق بناء دولة الاسلام ووضع أسس جديدة لتاريخ العالم بأجمعه . كانت هجرته صلوات الله عليه وسلامه ، مفصلا بين مسيرة طويلة للبشرية ، كان الخير والشر يتنازعان لينتصر الخير بعض المراحل القصيرة ، ثم تعود قوى الشر لتهيمن في معظم المراحل ، وبين مسيرة جديدة للبشرية تقام فيه للحق دولة ونظام ويهيمن ويصعد في عالمية لم يشهد الانسان مثيلا لها من قبل .

كانت الهجرة .. وحياً وعملا ، بداية لسياق جديد .

ونحن هنا سنحاول أن نستظل بهذه المعاني .

قبل خمسة أعوام كان الاسلاميون في كل أنحاء الوطن الاسلامي بأمل كبير يتقدمون إلى أبواب القرن الخامس عشر الهجري وبثقة عظيمة أيضاً .

كانت الحركة الاسلامية تكسب في كل يوم أرضا جديدة ، وجماهير الأمة بكل فئاتها تتقدم نحو الاسلام العزيز ، تعيد به تكوين وعيها وانتمائها وهويتها .

كنا نرى الآلاف .. بل الملايين ، في أرض الكنانة ، و بعد الضربات الطويلة القاسية وهي تصدع بانتمائها الاسلامي ، وقد أصبح الحجاب هو القاعدة في كل جامعات مصر .. والسفور استثناء .

كنا نسمع أخبار أخوتنا الاسلاميين في تونس وهم يتقدمون رغماً عن أنف أسوأ المؤسسات الرسمية علمانية في وطننا ، وأخوتنا في الشام يرفعون بنادقهم في وجه نظام الأقلية المجرم المعادي لدين الله . حتى على الساحة الفلسطينية التي ظن البعض أنها حسمت لصالح العدو اليهودي من جانب ، واليسار الفلسطيني من جانب آخر ، كانت الجماهير تخرج بالآلاف إلى أول صلاة للعيد في العراء ، نصفها على الأقل من نساء شعبنا المسلمات ، وقد بدأ المسجد يقود الحياة و يعيد تشكيل ملامحها . في العراق .. في السودان .. في لبنان ، وعلى طول الوطن الاسلامي وعرضه ، كان دين الله يتقدم و يحقق الانتصار ، وفي مقدمة كل الانتصارات ، كان ذلك النور العظيم الصاعد من طهران على أجساد وأكف المستضعفين وهم يعيدون للأمة أقصى درجات الثقة في إمكانية إبداع المستقبل الحقيقي على أنقاض دولة ما بعد الاستعمار المباشر ، الدولة العلمانية الذيلية المعادية لتاريخ الأمة وعقيدتها .

كان ذلك قبل خمسة أعوام فقط، لم نك أصغر كثيراً من الآن ! .. ولكن إشعاعات الأمل كانت تمتد إلى كل ما هو أمامنا وقد تخلصنا من كل عقد الضعف والخوف ، وأصبح صعود إسلامنا العظيم وهيمنته الكلية أكثر من أمر واقع في أذهاننا .

كنا نحلم كثيراً ، ولا بأس ، فقد كانت مساحة الانتصار من حولنا تمد أحلامنا بآفاق متسعة من الأمل .

اليوم وقد انتصف العقد الأول من هذا القرن ، كيف تبدو الصورة ؟

منذ اللحظات الأولى لبروز الاسلام كقوة رئيسية* .. أو على الأصح

منذ أكد الاسلاميون على أنهم أصحاب الأرض والقاعدة الشعبية في الوطن الاسلامي ، بدأت حملة مسعورة في الغرب لدراسة الواقع الجديد تمهيداً لمواجهته في الجامعات الغربية .. في مراكز الأبحاث .. في الصحف والدوريات .. في وزارات الحرب ومراكز الاستخبارات ، حملة مسعورة من أجل اختراق المد الاسلامي .

وحتى لا نغرق في وهم المؤامرة ، علينا أن ندرك أن المؤامرة ، أي مؤامرة ، لا تمر دون أن تكون هناك نوافذ مفتوحة لها . إن حال فقدان الوعي التاريخي بشكل أساسي ، إضافة إلى العديد من العوامل الأخرى ، قد أفسحت المجال في داخل الساحة الاسلامية لمؤامرات الاحباط والتمزيق وإيقاف التقدم الاسلامي .

وهكذا منذ مطلع الثمانينات شغلت الحركة الاسلامية في كل أنحاء الوطن ، بقضايا ثانوية بعيدة عن الواجب الأساسي للحركة الاسلامية المعاصرة .

« المتطرفون والمعتدلون » .. « السنة والشيعة » .. « الثورة والتحول السلمي » .. « السرية والعلنية » .. « الجهاد والتربية » .. « الديمقراطية والنضال الشعبي » .. « التحالف واللاتحالف » و « رجال الدين والأفندية » ... إلى آخر القضايا التي أوصلتنا إلى أن تنشأ عشرات التنظيمات الاسلامية في كل ولاية صغيرة ، وأحياناً في مدينة واحدة ، تصارع كل منها الأخرى ولا تعترف إلا بشرعيتها الوحيدة الواحدة . وإلى أن يخسر الاسلاميون أكبر قوة أعطاهم إياها سبحانه في هذا العصر ، بذلك الانتصار الفذ للجماهير المسلمة في إيران ، ونحن لا نقصد العلاقة بين المجموعات الاسلامية والحكومة الاسلامية في إيران ، فهذه قد تسوء أو تتحسن بين يوم وآخر لسبب هنا أو هناك ، بل نقصد خسارتنا لمعنى ودلالة أن يحقق أحد أجنحة الحركة الاسلامية مثل هذا الانتصار و يدافع عنه و يحميه و يتقدم به .

ولكن الأسوأ من ذلك كله أن نقف جميعاً يحوطنا عجز كامل عن

أن نفهم أو نحلل أو أن نعي ما حدث و يحدث ، بل و يظن الكثير منا أن الأمور على أفضل حال ، وليس بالامكان أحسن مما كان .

إن حالة المد الاسلامي التي أضاءت بشاراتها بعد النكبة الثانية في عام ١٩٦٧ م ، وأرست قواعدها الهامة مع بداية السبعينات ، صاعدة إلى ذروتها مع بداية الثمانينات ، تعاني الآن من أزمة حادة .. بل أزمات ، ونرجو أن يكون الاسلاميون جميعهم قد أحسوا ذلك حتى لا يجيء إدراكهم بعد فوات الأوان .

إن الذين يتصورون – أو تصوروا يوماً – أن مشاكل العمل الاسلامي ستحل بالأموال الهائلة التي تبعثرها هنا وهناك ، أو بالمراكز الوظيفية الهامة ، أو حتى أخوتنا الذين يحاولون تجاوز الأزمة بالمشاركة في السلطة أو التلويح بالسلام لزيف ديمقراطية الأنظمة التابعة والذليلة ، عليهم جميعاً أن يدركوا أن الأزمة أكبر من ذلك ، وأن وقت المراجعة قد جاء .

في مطلع عامنا الجديد وذكرى هجرة أبي القاسم محمد صلى الله عليه وسلم تبعث حية مشعة في داخلنا ، لازال الأمل الكبير يسكننا .. لازال حلمنا الكبير ينمو مع أعمارنا و يصاحبنا كدمنا وأرواحنا . ونحن نثق تمام الثقة أن الملايين من أمة الاسلام الكبرى قادرة بعونه تعالى على تجاوز الأزمة وستتجاوزها .

الطليعة الاسلامية .

أى الفريقين شر مكانا

المعلم الشهيد سيد قطب

« **و يقول الانسان : أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ؟ أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟ فوربك لنحشرنهم والشياطين ، ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ، ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا . ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا . وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** » .

يبدأ المشهد بذكر ما يقوله « الانسان » عن البعث . ذلك أن هذه المقولة قالتها صنوف كثيرة من البشر في عصور مختلفة ، فكأنما هي شبهة « الانسان » واعتراضه المتكرر في جميع الأجيال : « **و يقول الانسان : أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ؟** » ..

وهو اعتراض منشؤه غفلة الانسان عن نشأته الأولى ، فأين كان ؟ .. وكيف كان ؟ .. إنه لم يكن ثم كان ، والبعث أقرب إلى التصور من النشأة الأولى لو أنه تذكر : « **أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** » ثم يعقب على هذا الانكار والاستنكار بقسم تهديدي . يقسم الله تعالى بنفسه وهو أعظم قسم وأجله ، إنهم سيحشرون – بعد البعث فهذا أمر مفروغ منه : « **فوربك لنحشرنهم** » .. ولن يكونوا وحدهم ، فلنحشرنهم « والشياطين » فهم والشياطين سواء . والشياطين هم الذين يوسوسون بالانكار ، و بينهما صلة التابع والمتبوع ، والقائد والمقود ..

وهنا يرسم لهم صورة حسية وهم جاثون حول جهنم جثو الخزي والمهانة : « **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا** » .. وهي صورة رهيبة ، وهذه الجموع التي لا يحصيها العد محشورة محضرة إلى جهنم جاثية حولها ، تشهد هولها و يلفحها حرها وتنتظر في كل لحظة أن تؤخذ فتلقى فيها ، وهم جاثون على ركبهم في ذلة وفزع ..

وهو مشهد ذليل للمتجبرين والمتكبرين ، يليه مشهد النزع والجذب لمن كانوا أشد عتوا وتجبرا : « **ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا** » .. وفي اللفظ

تشديد ليرسم بظله وجرسه صورة لهذا الانتزاع تتبعها صورة القذف في النار وهي الحركة التي يكملها الخيال ! .. وان الله ليعلم من هم أولى بأن يصلوها فلا يؤخذ أحد جزافاً من هذه الجموع التي لا تحصى ، والتي أحصاها الله فرداً فرداً : « **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا** » فهم المختارون ليكونوا طليعة المقذوفين ! .. وان المؤمنين ليشهدون العرض الرهيب : « **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا** » فهم يردون فيدنون و يمرون بها وهي تتأجج تتميز وتتلمظ، و يرون العتاة ينزعون و يقذفون « **ثم ننجي الذين اتقوا** » فتزحزح عنهم و ينجون منها لا يكادون « **ونذر الظالمين فيها جثيا** » ..

ومن هذا المشهد المفزع الذي يجثو فيه العتاة جثو الخزي والمهانة و يروح فيه المتقون ناجين . و يبقى الظالمون فيه جاثين ... من هذا المشهد إلى مشهد في الدنيا يتعالى فيه الكفار على المؤمنين و يعيرونهم بفقرهم و يعتزون بثرائهم ومظاهرهم وقيمهم في عالم الفناء « **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين كفروا للذين آمنوا ، أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا** » ..

إنها النوادي الفخمة والمجامع المترفة والقيم التي يتعامل بها الكبار والمترفون في عصور الفساد ، وإلى جانبها تلك المجتماعات المتواضعة المظهر والمنتديات الفقيرة إلا من الايمان ، لا أبهة ولا زينة ولا زخرف ولا فخامة .. هذه وتلك تتقابلان في هذه الأرض وتجتمعان !

وتقف الأولى بمغرياتها الفخمة الضخمة ، تقف بمالها وجمالها بسلطانها وجاهها بالمصالح تحققها والمغانم توفرها و باللذائذ والمتاع . وتقف الثانية بمظهرها الفقير المتواضع تهزأ بالمال والمتاع وتسخر من الجاه والسلطان وتدعو الناس إليها ، لا باسم لذة تحققها ولا مصلحة توفرها ولا قربى من حاكم ولا اعتزاز بذي سلطان ، ولكن باسم العقيدة تقدمها إليهم مجردة من كل زخرف .. عاطلة من كل زينة .. معتزة بعزة الله دون سواه .. لا بل تقدمها إليهم ومعها المشقة والجهد والجهاد والاستهتار ، لا تملك أن تأجرهم على ذلك كله شيئاً في هذه الأرض ، إنما هو القرب من الله وجزاؤه الأوفى يوم الحساب .

وهؤلاء هم سادة قريش تتلى عليهم آيات الله ــ على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ــ فيقولون للمؤمنين الفقراء : « **أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ؟** » الكبراء الذين لا يؤمنون بمحمد ..أم الفقراء الذين يلتفون حوله ؟ .. أيهم خير مقاماً وأحسن ناديا ؟ .. النضير بن الحارث وعمرو بن هشام والوليد بن المغيرة وإخوانهم من السادة ؟ .. أم بلال وعمار وخباب وإخوانهم من

المعدمين ؟ .. أفلو كان ما يدعو إليه محمد خيراً أفكان أتباعه هم هؤلاء النفر الذين لا قيمة لهم في مجتمع قريش ولا حظ؟ .. وهم يجتمعون في بيت فقير عاطل كبيت خباب ؟ .. و يكون معارضوه هم أولئك أصحاب النوادي الفخمة والمكانة الاجتماعية البارزة ؟ .

إنه منطق الأرض .. منطق المحجوبين عن الآفاق العليا في كل زمان ومكان . وإنها لحكمة الله أن تقف العقيدة مجردة من الزينة والطلاء ، عاطلة من عوامل الاغراء ليقبل عليها من يريدها لذاتها ، خالصة لله من دون الناس ومن دون ما تواضعوا عليه من قيم ومغريات ، و ينصرف عنها من يبتغي المطامع والمنافع ومن يشتهي الزينة والزخرف ومن يطلب المال والمتاع .

و يعقب السياق على قولة الكفار التياهين المتباهين بما فيهم من مقام وزينة بلمسة وجدانية ترجع القلب إلى مصارع الغابرين على ما كانوا فيه من مقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين : « **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا** » ..

فلم ينفعهم أثاثهم ورياشهم وزينتهم ومظهرهم ، ولم يعصمهم شيء من الله حين كتب عليهم الهلاك .

ألا إن هذا الانسان لينسى ، ولو تذكر وتفكر ما أخذه الغرور بمظهر ومصارع الغابرين من حوله تلفته بعنف وتنذره وتحذره وهو سادر فيما هو فيه .. غافل عما ينتظره مما لقيه من كانوا قبله وكانوا أشد قوة وأكثر أموالا وأولاداً .

يعقب السياق بتلك اللفتة ثم يأمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يدعو عليهم في صورة مباهلة ــ بأن من كان من الفريقين في الضلالة فليزده الله مما هو فيه حتى يأتي وعده في الدنيا أو في الآخرة : « **قل : من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً و يزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً** » ..

فهم يزعمون أنهم أهدى من اتباع محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنهم أغنى وأبهى ، فليكن ! .. وليدع محمد ربه أن يزيد الظالمين من الفريقين ضلالا وأن يزيد المهتدين منهما اهتداءاً .. حتى إذا وقع ما يعدهم وهو لا يعدو أن يكون عذاب الضالين في الدنيا بأيدي المؤمنين ، أو عذابهم الأكبر يوم الدين ، فعندئذ سيعرفون أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً ، و يومئذ يفرح المؤمنون و يعتزون « **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً** » خير من كل ما يتباهى به أهل الأرض و يتيهون .

قراءة في رواية العدو الاسرائيلي لمعركة الشقيف

«الى المقدم غيور أهارنيك ، الذي لم اعرفه اطلاقا . ولكني اعرف انه قد مات على رأس وحدته ، وهو يحارب وجهاً لوجه في معركة الشقيف . في الأيام الاولى لغزو «اسرائيل» للبنان ، فيما كانت اقسى معركة في الحرب . ذلك كان إهداء كتاب «أطول حرب» للكاتب اليهودي جاكو بوتيرمان .

ويقول الجنرال اهود مزراحي الذي كان قائداً للقوات «الاسرائيلية» في محور الشقيف – النبطية : «ان قلعة الشقيف ، هي بالفعل هدف استراتيجي حصين وهام جداً من الناحية العسكرية ، ولكنني لا أعتقد بأن هذا الحصن يساوي تلك التضحيات والضحايا الذين سقطوا . وكنت سأفضل بقاء هذا الحصن بايد محتلة ، على أن أدفع ثمناً كبيراً من أرواح جنودي وضباطي لاستعادته واحتلاله . قد يكون جميلاً ان يقول الناس بان «الاسرائيليين» قد احتلوا قلعة الشقيف التاريخية . ورفعوا فوقها علماً اسرائيلياً ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن الدماء «الاسرائيلية» التي سالت من اجل هذه القلعة اللعينة ، اما الملازم اول عميرام ستيف من وحدة «لاهف» في قوات «غولاني» الخاصة فيقول : «كان القتال الذي دار حول الشقيف قتالاً مجنوناً متوحشاً لم اشهد له مثيلاً في حياتي ، ولم يخطر ببالي ان لدى الفلسطينيين كل هذه الشجاعة الفائقة وكل هذه الكفاءة . في الحقيقة انني لم اكن اتوقع ان اظل على قيد الحياة . لقد كنت اسبح في دمائي . وكانت اخر كلمات قلتها وانا ملقى فوق المنطقة المحيطة بالشقيف . هي : ياللعنة ، لقد مت .

وعلى أية حال لم تكن هذه المرة الاولى التي يهاجم بها «الاسرائيليون» قلعة الشقيف فقد حاولوا ذلك مرات عدة في الماضي . ففي حرب آذار/مارس ١٩٧٨ دفعت القوات الاسرائيلية بسرية استطلاع ميكانيكية ، إلا انها تحطمت على جسر الخردلي عند قدمي القلعة . وفي العام ١٩٨٠ حدثت محاولتان متباعدتان للتقدم في اتجاه القلعة ، الأولى بحجم كتيبة والثانية بحجم لواء من قوات «غولاني» الخاصة وقد تمكن العدو في المرة الثانية من الوصول الى مسافة عشرات الامتار من القلعة ، إلا ان النيران القوية التي واجههم بها المدافعون اجبرتهم على التراجع حاملين

معهم قائد لوائهم القتيل . تاركين المجال لطائراتهم لتقوم بدورها المعهود . وفي العام ١٩٨١ تكررت محاولة فاشلة للتقدم في اتجاه الخردلي . دمر فيها للعدو اربع آليات وخلال تلك الفترة كلها اصبح القصف المدفعي المعادي شيئا روتينياً في الحياة اليومية للمدافعين عن القلعة . كما قامت طائرات العدو بأكثر من خمسين طلعة جوية .

حصن استراتيجي

تقع قلعة الشقيف على قمة تلة ، تنحدر بشكل حاد في اتجاه مجرى نهر الليطاني . كما تنحدر انحداراً بسيطاً في تجاه هضبة النبطية التي تبعد عنها ستة كيلو مترات . ويستطيع المراقب في القلعة ان يرى بوضوح هضبة الجولان السورية المحتلة .

وسهل الخيام ، وأجزاء من الشريط الحدودي والأراضي الفلسطينية المحتلة في الجليل ذلك ان نقطة الحدود الفلسطينية – اللبنانية في المطلة تبعد عنها نحو سبعة كيلومترات وهي مسافة تجعل المراقب يرى بوضوح كلي حركة الآليات والافراد . من المطلة في اتجاه الشريط الحدودي . ومن الجليل في اتجاه هضبة الجولان وجبل الشيخ .

إن هذه السمة الجغرافية لموقع القلعة اعطتها اهمية كبيرة كنقطة مراقبة امامية للقوات المشتركة الفلسطينية – اللبنانية ، والى جانب

ذلك، تضاعفت اهمية القلعة نتيجة عاملين اثنين.

الأول: رغم نجاح العدو في هدم القلعة وجعلها أطلالاً وجدراناً قائمة فوق تلة جرداء إلا أن فشل محاولة إنزاله المتكررة وتركز قصفه اليومي المدفعي والجوي عليها. حولها رمزاً للصمود والقتال، واصبحت قلعة الشقيف خبراً يومياً دائماً في الصحف، وكلمة تتردد دائماً على لسان العدو كمصدر إزعاج لقواته. وعلى لسان قيادة القوات المشتركة رمزاً مرادفاً للتصدى والصمود.

الثاني: انعكاس الأهمية التاريخية للقلعة، على واقعنا وعواطفنا في آن. فقد شيد قلعة الشقيف قائد فرنسي يدعى بوفور الذي تعرف القلعة باسمه في المصادر الغربية. ثم حررها صلاح الدين الأيوبي وقام بتوسيعها وحفر عشرات الخنادق حولها لتتمكن من الصمود في وجه حصار الصليبيين. ومنها انطلق صلاح الدين الى معركة حطين التاريخية وتشاء الأقدار ان يعثر الابطال المدافعون عن القلعة، على رفات عشرات الشهداء المسلمين. الذين استشهدوا فيها في الأيام الغابرة، وذلك خلال قيامهم باعمال الحفر والتحصين.

لقد بات الان مؤكداً ان غالبية المدافعين عن الشقيف امتثلوا للأمر الصادر اليهم بالتشبث والتمسك بموقعهم تحت كل الظروف وهو الأمر الذي بني على قاعدة ان موقعاً له مثل هذه القيمة التاريخية والمعنوية يجب ان يدفع العدو ثمناً غالياً لاحتلاله وهنا اذكر ما قاله قائد هذا الموقع للقائد العام ابو عمار في إحدى زياراته للقلعة وقد روى ذلك القائد العام في اكثر من خطاب قال: انا لا أعدك بان الصهاينة لن يمروا من هنا. ولكن أعدك بانهم لن يمروا إلا على اجسادنا، وهكذا تأتي الرواية الاسرائيلية شهادة من العدو عن هذه المعركة وقد اعتمدنا فيها على اقوال ضباط العدو وجنوده واقوال بعض الصحفيين الاسرائيليين.

واقتصر دورنا، على ترتيب هذه الشهادات المتفرقة وتبويبها وربطها بعضها ببعض انطلاقا من معرفتنا بمسرح المعركة بحيث ننسج من كل ذلك قصة كاملة لمعركة الشقيف وإن كانت هذه القصة تحتاج لعدد اوفر من الشهادات، ومزيداً من الدرس والتمحيص إلا أن ما توفر منها، يعكس قدراً واسعاً من الحقيقة، عن طبيعة المواجهة الفلسطينية البطولية لجيش العدو.

الاستعدادات تبعت الاجتياح

عشية تعيين اريئيل شارون وزيراً للدفاع بدأ الجيش الاسرائيلي تدريباته واستعداداته لغزو لبنان عند توفر الظروف المناسبة كما كان يسعى لذلك شارون نفسه منذ كان وزيراً للزراعة في حكومة مناحيم بيغن الاولى. عن ذلك يقول المقدم اهرون تشيكال: «حينما تسلم شارون منصب وزير الدفاع وبدأت الاستعدادات لغزو لبنان، اخضعت القوات الاسرائيلية التي ستشارك في عملية الغزو لتدريبات ومناورات تعبوية مكثفة. وقد امضيت مع قواتي ما يزيد على الاسبوعين في مناورات خاصة وكنت علم ان كل هذه

الامور تجري استعدادا لغزو لبنان وابادة الفلسطينيين. اما الرائد ابراهيم كلاين فيقول: «يجب التذكير بان خيرة ضباط الجيش الاسرائيلي وجنوده هم الذين اختيروا لادارة هذه الحرب، وليس سراً القول بانهم جميعاً خضعوا لتدريبات خاصة ولعل هذه هي الحرب الوحيدة التي نستعد لها بصورة جيدة وكاملة، لقد بدأنا الاستعداد لهذه الحرب منذ اشهر طويلة.

ان الاستعدادات والتدريبات شملت كل الجيش الاسرائيلي وتضمنت في البدء تدريبات لرفع القدرة القتالية العامة، ثم تدريبات على طبيعة الارض المشابهة لمسرح العمليات وبعد ذلك تخصيص وحدات الجيش على مهاتها المحددة والقيام بالتدريبات الخاصة التي تتلائم مع طبيعة هذه المهمة. وفي هذا المجال وقع الاختيار على قوات «غولاني» الخاصة للقيام بمهمة احتلال قلعة الشقيف. ولعل سبب هذا الاختيار يرجع الى ان هذه القوات ذاتها هي التي قامت سابقاً بمحاولات الانزال على القلعة، كما انها تشكل نخبة قوات العدو. عن هذا يقول الملازم عميرام ستيف الذي يعرف عن نفسه قائلاً: «انا من وحدة «لاهف» في قوات «غولاني» الخاصة وقد سبق لي ان شاركت في حروب ٦٧، ٧٣، ٧٨ وهذه رابع حرب اشارك فيها واصاب فيها للمرة الثانية ويضيف لم اكن اعلم شيئا عن قلعة الشقيف على رغم اننا خضعنا لتدريبات عسكرية كثيفة لاحتلال مواقع شبيهة لها».

حجم القوات

ويتابع الملازم اول عميرام ستيف: «بعد ظهر السبت ١٩٨٢/٦/٥ صدرت الينا الاوامر بالتحرك نحو نقطة التجمع في مستوطنة ميتولا (المطلة) وفي حوالي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم. صدرت اوامر اخرى للتحرك والتقدم داخل الجيب المسيحي الخاص بقوات الرائد سعد حداد، وفي العاشرة والربع ليلاً اتخذنا مواقع متقدمة محاذية للمناطق التي تسيطر عليها قوات الامم المتحدة. ويقدر عدد القوات الاسرائيلية التي رابطت في ذلك الوقت في هذه المناطق بحوالي ١٢ الف جندي من قوات «غولاني» الخاصة ومن قوات المظليين ووحدات مكافحة الأرهاب وقيل لنا بان المزيد من القوات ستصل تباعاً بحيث يصل عددها الى ٢٢ الف جندي وحتى الواحدة بعد منتصف الليل.

ويؤكد ذلك معظم الضباط الاسرائيليين بتفاوت بسيط حول حجم القوات الاسرائيلية التي اشتركت في العمليات الاولى للغزو فيقدرها الرائد مئير عميتاي بـ ٢٨ الف جندي او ما يعادل هذا الرقم. وفي الأيام التالية كان هنالك اربعة آلاف جندي ارسلوا الى لبنان. واحيانا يتم مضاعفة هذا العدد وقد يصعب تحديد حجم القوات، التي خصصت لقلعة الشقيف بشكل دقيق، وذلك لتداخل معركة الشقيف مع المواقع الاخرى المجاورة في منطقة النبطية التي يقول عنها الجنرال اهود مزراحي: «لقد حاصرنا النبطية بقوات تعادل حجم القوات الاسرائيلية التي ارسلت الى هضبة الجولان في العام ٦٧ وقد شارك في الحصار ٤٠٠ دبابة وناقلة جند.». ويؤكد ذلك الرائد

مئير مزراحي بقوله: «وصل عدد القوات الاسرائيلية التي تحاصر النبطية الى حوالي ٧٥٠٠ جندي».

من جهة اخرى صرح رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في مؤتمر صحافي ان عدد الفدائيين في هضبة النبطية يقدر بـ ٥٠٠ فدائي اي ان النسبة هي ١ الى ١٥ حسب مصادر العدو. وإذا اردنا ان نستنتج حجم القوات التي خصصت لمعركة الشقيف فهي تقدر باكثر من لواء مشاة ميكانيكي معزز بكتيبة دبابات ووحدات مشاة راجلة وهندسية. وجميعها من قوات «غولاني» اما قوات الثورة الفلسطينية المرابطة في الشقيف فقد قدرتها استخبارات العدو في حينه بسرية واحدة تقريباً وكما يقول المقدم دوف اعتقدت في البداية بان هناك ما لا يقل عن مائة فلسطيني داخل الحصن او هكذا قيل لي لكن ذلك كان خاطئا» وهكذا تكون النسبة بين القوات على اساس هذه التقديرات واحد الى عشرين وعلى أساس ذلك بنى العدو خطته واستعداداته ويتابع المقدم دوف: «كان عددهم ٣٣ فلسطينياً وجميعهم من قوات فتح». وبذلك تصبح النسبة في حدود واحد الى سبعين.. وايا كانت الحقيقة فإن هذه المقارنة تعتبر من الناحية العسكرية، مقارنة غير كاملة او دقيقة إذ انه وإن كان بالامكان إعطاء ارقام او اجراء مقارنة حول الحجم العددي للقوات المتحاربة مهما بلغت الفوارق بينها فإن ذلك يصبح متعذرا تماما عندما تصل المقارنة الى ما يسمى الوسائط المستخدمة من كلا الطرفين فلا اعتقد ان هنالك ادنى امكانية لمقارنة البندقية بالدبابة او الرشاش بالطائرة.

سير العمليات العسكرية

١ – القصف التمهيدي:

بدأ العدو عملياته العسكرية اعتباراً من الساعة الثالثة والربع من بعد ظهر يوم الجمعة ٨٤/٦/٤ بغارات جوية كثيفة، شملت العديد من المناطق وصولاً الى بيروت. ومنذ تلك الساعة لم يتوقف القصف الجوي والمدفعي والصاروخي عن القلعة لحظة واحدة طوال ٤٨ ساعة عن ذلك يقول الملازم اول عميرام ستيف «واصلنا التقدم نحو القلعة وكنا نعلم بان طائراتنا قامت خلال اليومين الماضيين بقصفها والقاء عشرات الاطنان من القنابل فوقها. انا شخصياً كنت على قناعة من ان القلعة قد اصبحت انقاضاً وان دباباتنا ومدرعاتنا ستسير فوقها دون ان تجد هناك اية مقاومة فلسطينية حقيقية» ولعل اعنف قصف شهدته القلعة خلال تلك الفترة هو القصف الذي ابتدأ في الساعة السادسة والثلث من صباح ٨٢/٦/٦ والذي اشتمل حسب تقرير الامم المتحدة على ١١٠ غارات وبينما اسقطت طائرة للعدو وتمكن احد الاشبال الفلسطينيين من اسر طيارها. فيما لم تسفر الضربة الجوية عن أية خسائر في صفوف القوات المشتركة، هذا يعود الى الخبرة القتالية التي اكتسبها هؤلاء الابطال خلال المعارك السابقة والى الجهد التحصيني الكبير الذي بذله المقاتلون في تلك المنطقة.



آليات اسرائيلية تحاصر قلعة الشقيف

٢ – التجمع والحركة:

تجمعت القوات الاسرائيلية في مستوطنة المطلة منذ بعد ظهر السبت ٨٢/٦/٥، وكما يقول الملازم اول عميرام ستيف «وفي حوالي السابعة من مساء ذلك اليوم صدرت الينا اوامر اخرى تطالبنا بالتحرك والتقدم داخل الجيوب المسيحية الخاصة بجماعة الرائد سعد حداد وفي الساعة العاشرة والربع ليلاً اتخذنا مواقع متقدمة محاذية للمناطق التي تسيطر عليها قوات الامم المتحدة، ويضيف هناك ثلاث وحدات عسكرية وزعت على ثلاثة محاور، وهي الشرقي والاوسط والغربي. اما وحدتنا نحن، التي كانت بقيادة المقدم غيورا هرنيك، فقد صدرت اليها بالتوجه شرقاً لاحتلال قلعة الشقيف.. وفي حوالي الواحدة ظهراً تحركنا لاحتلال هذا الموقع الحصين.

تحركت قوات العدو الرئيسية المتجهة الى منطقة النبطية – الشقيف عبر بلدة الطيبة التي يسيطر عليها سعد حداد في اتجاه منطقة قوات الامم المتحدة وجسر القعقعية في حين كانت وحدات اخرى تتقدم من محور القلعة مرجعيون في اتجاه نهر الليطاني لاقامة جسر عبور في منطقة الخردلي ويصف تقرير الامين العام للامم المتحدة القوة المتقدمة فيقول: «ان القوة والوزن الكبيرين للقوات الاسرائيلية والتي تقدر بفرقتين ميكانيكيتين مع مساندة بحرية وجوية كاملة حالت دون امكانية وقفها. وقد تم اجتياح مراكز القوات الدولية الموجودة على خط الهجوم، أو أنه قد تم الالتفاف حولها».

٣ – القتال في الشقيف:

لقد جرى القتال على ثلاث مراحل متتالية، وفي المرحلة الثالثة والأخيرة تم احتلال القلعة في العاشرة من صباح اليوم التالي ٦ حزيران – يونيو ٨٢، اما القوات التي خاضت المرحلة الاولى من القتال فقد

ابيدت بصورة تامة ويتابع الملازم اول عميرام ستيف روايته فيقول: «على بعد ٢٠٠ متر من القلعة قام القائد بتوزيع القوات على مجموعتين كبيرتين: الاولى تهاجم من جهة الجنوب والثانية تستمر في المقدمة من جهة الغرب. وهكذا انتشرت القوات وصدرت الينا الاوامر بقصف القلعة قبل مهاجمتها. والقينا عليها ٨٠ قذيفة مدفع دبابة من العيار الثقيل. وفي الساعة الثانية والنصف بدأ الهجوم الفعلي على القلعة. ولكن الفلسطينيين هناك قد كانوا اعدوا لنا استقبالا رهيباً فما كدنا نصل الى بعد ٤٠ متراً من القلعة، حتى فتح الجحيم أبوابه ليبتلعنا، فقد صب الفلسطينيون علينا نيراناً من مختلف الأسلحة التي في حوزتهم مدافع ثقيلة من عيار (١٣٠ ملم) وهاون (١٢٠ ملم) وصواريخ الكاتيوشا كان القصف عشوائيا بشكل لم اشهد له مثيلاً وكانت المنطقة التي اصبحنا في داخلها مكشوفة ولا منفذ لنا وقد غطى الدخان الأسود الكثيف سماء المنطقة، وبدأت الانفجارات الضخمة تتعالى وكنت اسمع صرخات الجنود بوضوح. وكانت الدبابة الأولى التي أصيبت إصابات مباشرة دبابة القائد هرنيك، وقد قتل اثنان من الضباط كانا معه في الحال. وتم تعيين الرائد يسرائيل باروخي خلفاً للمقدم هرنيك. ولاحظت ان الفلسطينيين يتصيدون دباباتنا ومدرعاتنا بانتظام، لقد كان منظر الدماء رهيباً لن أنسى منظر الدماء، ومنظر الضباط والجنود، الذين سقطوا حول القلعة، لم يكن في استطاعتنا إخلاء القتلى والجرحى من ساحة العمليات بسبب كثافة النيران الفلسطينية لقد تركونا نقترب منهم كي يصطادونا الواحد بعد الاخر. ولقد استمر القتال حول الشقيف حتى الرابعة بعد الظهر وكل ما تبقى من حدتنا على قيد الحياة ١٢ ضابطاً وجندياً. اصيبوا جميعاً بجروح ونقل خمسة منهم الى مستشفى دام مبام وسبعة انا من بينهم الى مستشفى تل هشومير لان جروحنا جميعا كانت خطيرة، وفي تقرير كتبه بن تصيون شيرا في مجلة الجيش الاسرائيلي قال «ان عملية احتلال قلعة الشقيف تعتبر رمزا لحرب لبنان. ورمزاً للمعارك التي خاضتها قوات غولاني ويصف بن تصيون التكتيك الذي اتبعته القوات المشتركة بالقول «لقد واصلوا إطلاق النار، وانتهجوا اسلوب الانسحاب والاشتباك والتحرك وكانوا يتحصنون جيدا الى جانب انهم قاتلوا بصلابة».

ويصف موطي (قائد وحدة الاستطلاع) المقاتل الفلسطيني الذي قتل المقدم هرنيك قائد الهجوم فيقول «كان شجاعاً»، استمر بالقتال، وأطلق علينا النار اكثر من مرة، والقى علينا القنابل اليدوية، وقد اطلقنا عليه النار من جميع الاتجاهات، وعندما دخلنا الى الخندق وجدناه يتشعب الى ممرين وفي كل مرة كنا نلقي عليه القنابل اليدوية كان المقاتل الفلسطيني ينتقل من ممر الى اخر.

ويحدثنا الدكتور بناحيا وايسمان وهو طبيب احدى الكتائب التي يتكون منها اللواء غولاني عن مهمة كتيبته في معركة الشقيف فيقول: «كانت مهمتنا احتلال هدفين محصنين شمال قلعة الشقيف، وخرجنا الى الهدف مع القوة المكلفة باحتلال القلعة، وفي ساعات ما بعد

الظهر وصلنا الى سفح القلعة، وعندما بدأت النيران تنهال علينا.. انقسمت قواتنا الى قسمين اتجه كل منها الى هدفه. وصلت مع قوتي الى سفح الهدف المحصن الاول».

ويؤكد النقيب دانئيل بينتو النهاية المفجعة للهجوم الاول على الشقيف فيقول «اتصل بي الرائد عاموس فيري من وحدات غولاني المدرعة وابلغني ان قائد الهجوم الاسرائيلي على الشقيف المقدم هرنيك قائد كتيبة قتل وان معظم جنوده قتلوا ايضاً في هذا الهجوم اللعين — وأبلغني ايضا ان مساعدي هرنيك الذين تبادلا قيادة القوات المهاجمة على الشقيف قتلا ايضاً. وكلاهما يحمل رتبة نقيب وان الكتيبة بكاملها اصبحت بلا وجود اذ لم يبق من افرادها سوى ١٧ جندياً اصيبوا بجراح خطيرة اتعرف ماذا يعني فقدان كتيبة غولاني كتيبة كهذه لقد كان في امكاني بواسطة كتيبة كهذه ان احتل صحراء سيناء في العام ١٩٦٧»!!

ان هذه الصدمة لم تصب النقيب بينتو فقط، وانما تعدته الى رئاسة الاركان التي سرعان ما تدخلت وامرت المقدم دوف في الساعة الخامسة مساء باحتلال القلعة ويقول المقدم دوف في حوالي الساعة السابعة والنصف كنت مع قواتي على بعد عشرات الامتار فقط من الحصن دون ان نواجه اية مقاومة تذكر، وقد نزل العديد من الجنود من مدرعاتهم واقتربوا مني والبسمات تعلو وجوههم، اما انا فقد كنت قلقاً للغاية وغير مطمئن اطلاقا لهذا الصمت الذي يخيم على المنطقة وبينما كنت ارد على بعض استفسارات الجنود استعداداً لاقتحام قنوات الحصن. فتحت علينا النيران من كل جانب. لقد امطرونا بالقذائف الصاروخية والبازوكا وفتحوا نيران اسلحتهم الثقيلة علينا بشكل عشوائي. وتعالى الصراخ والصياح بين الجنود وقتل في الحال جميع الجنود الذين كانوا خارج دباباتهم ومدرعاتهم. واخذت اصرخ بالجنود للتقهقر الى الخلف لاعادة التنظيم والانتشار، لكنه لم يكن هناك اي مجال لذلك فقد وقعنا في المصيدة.. ولم يبق من قواتي التي نفذت المرحلة الاولى من الهجوم سوى سبعة جنود فقط، علما ان عدد افراد الحملة الاولى التي قدتها يبلغ حوالي ٩٠ جندياً بينهم ٧ ضباط برتب متوسطة وصغيرة. كما ابيدت الدبابات والمدرعات التي استخدمتها القوة».

في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي نفذت المرحلة الاخيرة من الهجوم الذي لا توجد في متناول ايدينا اية روايات للعدو عنه سوى قول المقدم دوف عن المدافعين عن القلعة كان ٣٣ فلسطينياً. وجميعهم من قوات «فتح» ولم نأسر اي فدائي منهم لانهم قاتلو حتى الموت. ولم يستسلم احد منهم. ويضيف دوف، «قام قائد الكتيبة بتنظيم قواته، لكنه قبل ان يبدأ باول تماس مع الهدف. بدأ الفلسطينيون باطلاق النيران علينا، مستخدمين المدفعية من منطقة كفر تبنيت القريبة تمركزنا في مكان قريب من الهدف، وبعد بدء الهجوم بوقت قصير بدأت استقبل الجرحى الذين كان من بينهم قائد الكتيبة نفسه، وحدث في احدى اللحظات انني اسقبلت ١٢ جريحا دفعة واحدة مما بعث فينا

جميعاً الشعور بالخوف. واستمر الجرحى بالوصول ثم وصل القتيل الأول. وعندها وبطريقة ما، اكتشف الفدائيون نقطة تجمعنا وبدأوا يقصفونها. وكان الشيئ الوحيد الذي استطعنا القيام به هو تنظيم ناقلات جنود لاخلاء الجرحى ثم انسحبنا الى الخلف مسافة كيلو متر. وعندها بدأنا نستقبل الجرحى باعداد هائلة، ثم تلقيت خبراً مفاده ان عدداً من زملائنا دخلوا حقل الغام لم يكن معروفاً، وقد سقط الجميع بعد تعرضهم لاصابات مختلفة، فتركت نقطة التجمع ودخلت فوراً حقل الالغام، واتضح ان هناك عددا من الجرحى وان عدداً اخر لم يصب لانهم لم يتحركوا من اماكنهم. وبدأت باعطاء الاسعافات الاولية للجرحى، وقررت اخلاءهم بمساعدة الجنود الذين لم يصابوا وبعد ان قطعنا امتاراً عدة فجر احدنا لغماً وطرنا جميعاً في الهواء. فدبت الفوضى بيننا، واصيب عدد اخر بجراح فاعطيتهم امرا بعدم التحرك وسادنا جميعاً الوجوم والخوف، وذهب بعض الجنود الى القول باننا لن نخرج من هنا، وبالفعل فقد شعرت انا ايضاً بانني اذا تحركت فاما ان تقطع ساقي او اموت. وقد بقينا هناك في حالة شلل تام ليلة كاملة» ولم تستطع هذه القوات الخروج من حقل الالغام الا بعد قضاء الليل كله وحتى حضور نائب قائد الكتيبة واحضار معدات خاصة. لاخلائهم في عملية استغرقت اكثر من ثلاث ساعات.

محور الخردلي

لم تكن القوة الاسرائيلية التي تقدمت عبر محور القليعة – مرجعيون في اتجاه جسر الخردلي افضل حظاً من القوات الرئيسية الاخرى. ورغم ان هدف هذه القوة في اللحظات الاولى كان صرف الانظار عن الهجوم الرئيسي، إلا انها تكبدت خسائر جسيمة وواجهت مقاومة ضارية. عن هذا يقول النقيب ايلي ليفي الذي كان مرتاحاً للروح المعنوية العالية لدى جنوده الذين استمرت اناشيدهم الحماسية الى ان وصلنا الى محور القليعة – النبطية حيث كانت كمائن المقاتلين الفلسطينيين في انتظارنا على هذا المحور. وعند الانفجار الاول توقفت كل تلك الاناشيد والاغاني. فقد انطلقت قذيفة ساغر واصابت ناقلة جند مدرعة اصابة مباشرة وتلا هذا الانفجار اطلاق نار كثيف من الفلسطينيين على قواتي وعلى الفور شعرت انني في مأزق خطير، لا استطيع الخروج منه في سهولة. وادركت عندها فقط ان مايدور هو حرب حقيقية، واننا نواجه قوة فلسطينية مدربة ومنظمة جيداً وليس كما قيل لنا.. ان المعارك التي دارت في هذا المحور كانت طاحنة حقاً لقد انزلقنا الى مصيدة امضينا ساعات طويلة للخروج منها بعد ان تكبدنا خسائر كبيرة. لم يكن في وسعي ان اكشف امام الجنرال ايتان حجم خسائر قواتي في الارواح والمعدات لان ذلك كان من شأنه ان يثير غضبه وسخطه».

لم تتوقف خسائر الوحدات الاسرائيلية في هذا المحور عند سيطرتها عليه اذ ان حقول الالغام والتجهيزات الهندسية المعدة مسبقاً

استمرت في قتالها. عن ذلك يقول خبير المتفجرات تسفي كريغ «صباح اليوم الثاني للحرب تلقينا بواسطة جهاز الارسال، معلومات مفادها ان عدداً من الدبابات والمدرعات دخلت حقول الالغام قرب جسر الخردلي. وان العديد من افراد طواقم هذه الدبابات والمدرعات قتل او جرح وطلب منا الاسراع الى المكان والعمل على تخليص هذه القوة من حقل الالغام. حين وصلنا اليه تبين لنا ان رجال المنظمات لا يقومون بزرع الالغام كما ينبغي وحسب بطريقة غير منظمة. قمنا بتفجير سلسلة الغام وتقدمنا نحو القتلى والجرحى لاخلائهم، لقد كانت مهمتنا غاية في الصعوبة والخطورة اذ لم يكن في وسعي اكتشاف هذه الالغام الا بواسطة السكين الخاصة التي نستخدمها في الكشف عن الالغام. في هذه الاثناء قمت بتفجير سلسلة اخرى من الالغام، لكن كان هناك لغم اخر ناقص ينبغي العثور عليه، قمنا بتمشيط المنطقة بحذر شديد، شكوكي كانت في محلها، فقد اكتشفت لغماً كان مزروعاً خارج سلسلتي الالغام، جلست بحذر وبدأت بتفكيكه لكن فجأة شعرت بالظلام في عيني. لقد انفجر كل شيئ في وجهي. لقد نجحت في خمسة حروب، وها انا الان اواجه موتي نتيجة انفجار لغم احمق.

وعلى كل فقد حالف الحظ هذا الخبير اذ ان صمام اللغم هو الذي انفجر فقط وذلك كما يقول يحدث هذا مرة كل مليون مرة. هكذا خرج من هذه الحرب بفقدان عين فقط.

مصيدة الدبابات

تمكنت القوات الاسرائيلية من الوصول الى مشارف القلعة بسرعة نسبية. وهذا عائد الى قدرتها على الحركة وقوتها النارية وتبنيها لنظريات الحرب السريعة الخاطفة من جهة ومن جهة اخرى الى ضآلة حجم القوات المشتركة المرابطة ما بين جسر القعقعية والنبطية – الشقيف. الا ان هذه الطريق مع ذلك. لم تكن سهلة على الاطلاق.

ان نظرية الحرب الخاطفة التي تعتمد على قوة نار كبيرة وحركية عالية، يعتمد نجاحها في النهاية على الضربة المعنوية التي يحققها التقدم السريع للقوات وقطعها لكل خطوط الامداد والاتصال. ولكن الجيش الاسرائيلي فوجئ بان توغله لم يشل مقاومة المقاتل الفلسطيني الذي كان يدرك ان واجبه ومهماته تتمثل في الاستمرار بالقتال فوق كل بقعة واينما وجد عدوه.

ولعل الاستنتاج الذي وصل اليه النقيب دانئيل بينتو في معرض مقارنته هذه الحرب بالحروب السابقة التي خاضها الاسرائيليون مصيب تماماً عندما يقول: «اريد ان اقول هنا بان كل شيئ يتوقف على نوعية العدو الذي نواجهه وبالذات نوعية الجندي الذي يعترض تقدمنا» وعن نتائج المعارك التي واجهت القوات الاسرائيلية في هذا القاطع يصف الرائد مئير مزراحي مشاهدته، وهو الذي تحرك عبر هذا المحور في اليوم الثاني للحرب. فيقول «شاهدت بعيني عشرات الدبابات والآليات الاسرائيلية وقد اصبحت

حطاماً بعضها كان انفجر وتناثر كان كل شيء في هذه المنطقة يوحي بان قواتنا لا تسيطر على الوضع اطلاقاً وكلما تقدمت بقواتي نحو النبطية كلما ازداد عدد المدرعات والدبابات التي كانت تدمر او تعطب على ايدي الفلسطينيين واذكر ان العصبية الحادة سيطرت على جنودي كما سيطر عليهم الحزن العميق. انها لكارثة. واذا كان افراد طواقم هذه الدبابات والمدرعات قتلوا او حتى جرحوا فان هذا هو حتماً اقسى هزيمة تمنى بها اسرائيل منذ قيامها.

اما كيف حدث ذلك، فهذا ما يصفه النقيب دانئيل بينتو بقوله هناك مثل الماني يقول: الفتاة التي لا تجيد الرقص تسارع الى الادعاء بان الأرض التي ترقص عليها عوجاء وغير مستقيمة» وهكذا كان الحال بالنسبة الينا. فقد كنا نلقى مقاومة ضارية تفوق بكثير حد تصوراتنا جميعاً. فدباباتنا المتقدمة كانت تتعرض باستمرار لزخات من الكاتيوشا وقذائف الـ ار. بي. جي» والمدفعية الثقيلة، كما ان مدافعهم الرشاشة لم تكن تتوقف ولو للحظات، كان عندهم مئات المدافع الرشاشة الثقيلة تمطرنا برصاصها المدمر، ولذا فقد عمدنا الى الادعاء بان الاراضي التي تسير دباباتنا فوقها هي اراض جبلية ووعرة، ونحن نجهلها تماماً. واود ان اسأل ان لم تكن اراضي مرتفعات الجولان اشد وعورة.

القيادة العليا في المعركة

يقول الرائد عميرام ايرليخ علمت من قائد اللواء بان كلا من رئيس الوزراء مناحيم بيجن ووزير الدفاع اريئيل شارون ورئيس الاركان الجنرال رافائيل ايتان حلوا ضيوفا على مقر قيادة القطاع الشمالي بقيادة الجنرال امير دوري. وذلك للأشراف على سير العمليات العسكرية لكن وكما يبدو فان القيادة العسكرية للجيش تعدت مهمة الاشراف والمتابعة الى التدخل في تفاصيل العمليات العسكرية متجاوزة سائر القيادة الميدانية المختلفة المناط بها تنفيذ هذه المهمات فها هو الجنرال مزراحي وهو قائد قوات العدو على محاور النبطية – الشقيف التي تشكل محوراً عسكرياً واحداً يقول فضل كل من الجنرال ايتان رئيس دركان الجيش والجنرال امير درروي قائد الجبهة الشمالية ان يعهدا الى بمهمة احتلال مدينة النبطية وذلك لانها مهمة صعبة وخطيرة وقاسية جداً.

اليس غريباً ان يطلب من قائد القوات القيام شخصياً بمهمة محدودة قد تمنعه من متابعة الاشراف على بقية قواته التي كانت تنتظر في ذلك الوقت في اتجاهات متعددة.. الا ان هذه الغرابة تزول عندما (يتابع) الجنرال مزراحي. فيقول لقد وقع الاختيار على بالذات للقيام بمهمة احتلال النبطية بعد الخسائر الكبيرة في الارواح التي منيت بها قواتنا التي دخلت الشقيف وكنت شخصياً من اشد المقاتلين لها نظراً الى اني فقدت فيها عدد من زملائي كبار الضباط الذين اعتبرهم من خيرة المحاربين واكثر القادة المتمرسين كفاءة في الجيش. والجدير بالذكر ان الجنرال مزراحي سقط جريحاً على مداخل النبطية.



مناحيم بيغن: اشرف على سير المعارك متجاوزا القيادة الميدانية

وبرغم اختيار رئاسة الاركان لاكثر القادة المتمرسين كفاءة للقيام بعملية الشقيف، الا ان هذا لم يمنعها من تجاوز الجنرال مزراحي نفسه. والا ما معنى ان يقوم الجنرال بكوتئيل ادام، وهو نائب رئيس هيئة الاركان باصدار اوامره للمقدم دوف بمهاجمة القلعة وتطهيرها من القوات الفلسطينية المتمركزة فيها بتشدد «بان علي ان احتل الحصن».

الصدمة الكبيرة

ان عنف القتال الذي دار في الشقيف قلب الامور رأساً على عقب ذلك ان الضباط والجنود الاسرائيليين الذين كانوا يعتقدون ان غزو لبنان نزهة قصيرة سيعودون منها بغنائم كثيرة. وجدوا الامور على غير ما توقعوا فها هو النقيب دانئيل بنتو يقول لقد نذرت وانا في طريقي لاجتياح لبنان ان اعود ومعي راس قائد فلسطيني وصدقني اني قلت ذلك لصهري الجنرال داني ماط وقد استحسن الفكرة ووجدها رائعة. ولكني في الواقع فشلت في ذلك لم افشل فحسب بل اني اخاف وللمرة الاولى ان افقد رأسي.

ان الخسائر التي منى بها الجيش الاسرائيلي في هذه المرحلة الاولى للقتال كانت كبيرة فقد بلغت حسب اقوال الملازم اول عميرام ستيف ٢٦٠ ضابطا وجنديا قتيلاً وضعف هذا العدد من الجرحى وفي الواقع تشمل هذه الارقام فقط الذين قتلوا او جرحوا حول القلعة وفوقها ان هذه الخسائر بدأت تطرح اسئلة كبيرة لدى ضباط الجيش الاسرائيلي وجنوده. فها هو الضابط نفسه يتساءل كما كانت لنا الشجاعة في اشعال نار هذه الحرب فيجب ان تكون لنا الشجاعة للاعتراف بالحقيقة، فلماذا يخفون الارقام الحقيقية لعدد القتلى والجرحى؟ الا يتحملوا هم مسؤولية كل ما جرى للجيش».

وبدأ الضباط الاسرائيليون بالبحث عن

المسؤولين عن هذه الهزيمة. فالجنرال اهوذ مزراحي يتهم الاستخبارات العسكرية بالاهمال والتقصير بل وبالفشل الخطير في المهمات الملقاة عليها وذلك لان كل تقاريرها ومعلوماتها التي قدمتها الى وزارة الدفاع ولاركان الجيش لم تكن دقيقة ابداً خاصة فيما يتعلق بحجم القوة الفلسطينية او بالاصح العدو الذي كان يترتب علينا مواجهته. كذلك اتهم واضعي المخطط العسكري بتجاهل نوع العدو الذي نواجهه، العدو الذي يعترض طريقنا والخطير في حديث الجنرال مزراحي هو ان هذه ليست مشاعره فقط بل هي كما يقول مشاعر العديد من كبار الضباط فهناك تقصير ومغالطات واخطاء خطيرة وتسرع في اتخاذ قرارات مصيرية قد يكون لها اثر على معنويات الجنود»، ويضيف ان الخسائر الكبيرة في الارواح التي تكبدناها في معارك الشقيف جعلتنا نبدل ونغير في العديد من مخططاتنا العسكرية في لبنان».

وقد تعدت اثار التبديل من المخططات العسكرية الى معنويات الجنود الذين دخلوا المعركة ينشدون الاناشيد الحماسية واذا بقائدهم النقيب ايلي ليفي يقول بعد الاشتباك الاول الذي واجهته قواته لقد شعرت بان تغيراً كبيراً طرأ على معنويات الجنود. هذه المعنويات كانت تتمزق كانت في الحضيض لا ادري ماذا اصابهم.. جنودي لم يقاتلوا كما يجب في الحرب، ولم يتمكن هذا الضابط من كتمان الانهيار في الروح المعنوية لجنوده ويشاء حظه العاثر ان يبلغ الجنرال ايتان بذلك قلت للجنرال ايتان بان معنويات الجنود ليست طبيعية. فغضب مني وثار وراح يتمتم بعبارات لعينة. ان هذا الانهيار في الروح المعنوية كان احد الاسباب التي دفعت بيغن الى زيارة القلعة في وقت كنا مانزال نحاصر مدينة النبطية والقتال على اشده.. ويقول مزراحي عن ذلك حتى مناحيم بيغن الذي اصر على زيارة قلعة الشقيف لم يخف الامه الحادة وتأثره العميق حينما ابلغ الحقيقة التي تضمنت حجم خسائرنا في الشقيف. وقد ازداد غيظاً حين علم ان احدا من الفلسطينيين الذين كانوا يدافعون عن هذه القلعة لم يستسلم وانهم جميعا استشهدوا كان شارون قلقاً جداً مخافة ان يعرف بيغن حقيقة الخسائر التي وقعت واعداد الذين سقطوا حول القلعة. ولذلك سارع الى القدوم الى القلعة في انتظار الهليكوبتر التي كانت تقل مناحيم بيغن كان مستاء من هذه الزيارة وخاطب بيغن بعصبية قائلاً: «لماذا اتيت الى هنا، الا تعلم بان وجودك هنا خطر جداً فالمعارك تدور على بعد مسافة قريبة. وكان يتوجب عليك عدم الحضور وفيما بعد صرح احد الضباط لصحيفة معاريف بعد رحيل بيغن بدقائق اطلقت علينا النيران من خلف صخرة كان يجلس خلفها فدائي جريح لقد اصاب الجميع صمت وذهول ترى ماذا كان سيحدث لو اطلق هذا الفدائي النار قبل دقائق معدودة.

ان هذا القتال الضاري دفع الجيش الاسرائيلي ايضا الى الاعتراف بشجاعة خصمه والاشادة بقدرة المقاتل الفلسطيني وحتى الى مقارنة هذه الحرب الصعبة والقاسية بالحروب السابقة ففي حين يتحدث الجنرال مزراحي عن

اهمية نوع العدو الذي نواجهه في التخطيط للعمليات العسكرية يشيد المقدم دوف برفض الفدائيين الاستسلام فيقول كنت اتوقع اننا سننتهي من مهمتنا بصورة خاطفة ونعود ومعنا الاف الاسرى الفلسطينيين لقد كنت اتصورهم مجموعات صغيرة ضعيفة مسلحة تسليحا رديئاً وانهم لن يقدروا على مواجهتنا. بل سيفرون امامنا حال مشاهدتهم ارتال الدبابات الاسرائيلية وهي تتقدم نحوهم، او سوف يسارعون الى رفع الاعلام البيضاء ويسلمون انفسهم لنا لكنهم لم يفعلوا ذلك ولم ار حتى الان فلسطينيا واحدا يستسلم.. اننا نواجه قوة هائلة مدربة جيداً ومنظمة واعتقد اننا لم نحسن التخطيط جيداً ولم نحسن معرفة قدراتهم وقد دفعنا ثمنا باهظاً من جراء ذلك ويؤكد النقيب دانئيل بنتو ذلك. ويقول هؤلاء الفلسطينيون قاتلوا بضراوة فائقة لم يكن احد يتوقعها ونحن ببساطة كنا نعتقد بانهم يفرون من امامنا ولو سألت اي جندي اسرائيلي لقال لك ذلك وليس لهذا الامر اي علاقة بطبيعة الاراضي الوعرة جبلية كانت ام معبدة.. اني احترم المقاتل الشرس احترم المحارب الذي لا يخشى الموت ويحارب حتى النهاية.. لقد قاتلونا بشجاعة فائقة وعلى كل ستكون لنا جولات اخرى ولن تكون هذه الجولة الاخيرة ومن يعتقد ذلك فهو واهم ولا يعلم شيئاً.

وفي حين يشيد بعض الضباط باسلحة الفلسطينيين، وبشكل مبالغ فيه احيانا، الا ان هذه المبالغة تكشف اساساً عجز هؤلاء عن فهم ظاهرة الانسان اقوى من الآلة التي يستخدمها الا انه من الملاحظ ان هذه الشهادات قد اقتصرت على النواحي الفنية كالتدريب والتنظيم والاسلحة ودقة الرماية ووصلت الى حد التفكير بنوعية المقاتل الفلسطيني وكان واضحاً منذ اللحظة الاولى للغزو ان ارادة القتال لدى المقاتل الفلسطيني تبقى اقوى من كل سلاح لانها ارادة الحياة لدى الشعوب.

وتبقى حقيقتان

الاولى: ان استيلاء الجيش الاسرائيلي على الشقيف لا يعطيه تلك المميزات التي كانت يتمتع بها المقاتل الفلسطيني فالقلعة تفقد قيمتها كموقع للمراقبة في اتجاه الغرب والشمال حيث تقف جبال الريحان امامها سد منيعا. وكذلك انحدار هضبة النبطية في اتجاه الساحل وبذلك لا تتعدى قيمتها العسكرية لان قيمة اي موقع مجاور ولهذا سارع الاسرائيليون الى تسليمها لقوات الرائد سعد حداد.

الثانية: ان القتال الذي دار في منطقة الشقيف كان شرارة البدء لقتال اعنف واقسى. لو لم تقتصر المعارك الطاحنة على هذه المنطقة وحدها ولعل هذا ما يقصده النقيب عوفاديا بالقول لو انك توجهت بالسؤال الى بعض الضباط والجنود لسارعوا الى القول بان اقسى واعنف المعارك التي دارت تلك التي كانت في قطاعهم وانهم شاركوا فيها ان كل جندي اسرائيلي في لبنان يتحدث طويلاً وبصوت عال عن معارك طاحنة خاضها في القطاع الذي كان يقاتل فيه..

الرائد الركن معين الطاهر

«عن البلاد»

قضية مصر

مصر هي المستقبل – هذه هي الحقيقة التاريخية التي أدركتها كل القوى المعادية للاسلام. وعبر مراحل الصواع الطويلة بين القوى الأسلامية وبين القوى الشيطانية فإن القوى الشيطانية قد أخذت أشكالاً متعدده، كان أخرها الأستعمار والصهيونية.

أنتصر العالم الأسلامي في الحروب الصليبية على أوروبا وكان من الطبيعي أن يواصل المنتصر تقدمه الحضاري ويسقط المهزوم في التخلف ولكن تلك نظرة سطحية.

إن الأمة الأسلامية ووفق سنن الله سبحانه وتعالى يرتبط فيها الأبداع الحضاري بالغزو.

ان الرسالة التي تحملها الأمة أمام الله هي الغزو المستمر لأزاحة كل القوى المستبدة من على وجه الأرض وتحرير الجماهير من الخوف والأستبداد وتحقيق العدالة الأقتصادية وضرب كافة أشكال التخلف القبلي والعشائري والقومي.

وإذا مارست الأمة تلك الرسالة فانها تبدع حضارياً. وإذا توقفت عن ممارستها أنكفأت وغاصت في التخلف.

إن المسلم لا يستطيع أن يقدم أبداعه الا في حالة الغزو لأنه في تلك الحالة يصبح متزنا أمام الله لأنه يؤدي رسالته التي يحملها عقائدياً. وإذا لم يؤدها فانه لا يملك شروط الأبداع ويفقد روحه المنتصرة ويشعر بالتقصير امام الله. وهكذا يصبح إنساناً مشروخاً لا يقدر على العطاء الحضاري.

وهكذا فإن الأمة في حالة الحرب الصليبية لم تكن تمارس الغزو من أجل تحرير البشر ولكنها كانت في حالة دفاع عن النفس وبالتالي فانه برغم انتصارها ودحر الجيوش الصليبية فانها تستطيع ان تواصل التقدم الحضاري.

وفي الحقيقة فإن القوى الشيطانية قد أدركت جيدا انها لم تستطع هزيمة العالم الأسلامي لأسباب رئيسية.

– إيمان الجماهير بوحدة الامة والتمسك بالخلافة.

– المحافظة على هوية الأمة وشخصيتها الحضارية المستقلة.

– الأستجابة لنداء الجهاد والألتفاف حول العلماء المجاهدين.

وهكذا استهدفت القوى الشيطانية (الاستعمار والصهيونية) ضرب العوامل الثلاثة السابقة بلا هوادة.. فلقد استهدفت تدمير الخلافة العثمانية – تدمير هوية الأمة ضرب روح الجهاد لدى الجماهير المسلمة. نستطيع أن نحدد بداية تلك الغزوة (الأستعمار



الأمام الشهيد حسن البنا

والصهيونية) بالحملة الفرنسية على مصر ولكن لماذا كانت مصر؟

كانت تلك الغزوة غزوة حضارية ولم تكن عسكرية فقط كالحروب الصليبية وهكذا فانها استهدفت ضرب مراكز الأشعاع الحضاري للأسلام ولعل مصر هي أهم مراكز ذلك الأشعاع في ذلك الوقت على الأطلاق.

إن من يملك مصر في تلك الفترة فقد امتلك عقل الأمة مراكز الثقل في العالم الأسلامي هي مصر – تركيا – ايران مسلمي الهند – والأستعمار يحاول أن يسيطر على تلك المراكز دائماً.

بالنسبة للهند قام بعمل مسح سريع والتفاف مذهل حول التوجهات الحضارية لمسلمي الهند وانشأ كياناً مصطنعاً هو باكستان ليضرب به التوجهات الحضارية لمسلمي الهند – وليقدم أسلاما مرتبطاً بالأستعمار كنوع من التغطية.

وبالنسبة لايران فقد تم محاولة ربطها بكافة أشكال الأستعمار الانجليزي ثم الامريكي الا أن الثورة الاسلامية أخيراً قد أجتثت جذور الاستعمار في أروع ثورة عرفها التاريخ ولينبعث النور مرة اخرى من طهران.

وبالنسبة لتركيا فانها في تلك الفترة كانت تحتضر بفعل العوامل الخاصة والمؤامرات الخارجية الا انها تمثل بالنسبة للعالم الأسلامي بؤرة تاريخية يمكن الألتفاف حولها – أنها تمثل عزة الماضي ولكنها في النهاية كانت تتجه الى السقوط ولم تعد قادرة على صنع المستقبل.

اما مصر فهي فضلا عن انها تملك موقعا استراتيجيا فريدا عالميا وأسلامياً فانها أيضاً تاريخيا استطاعت ان تدمر الغزو التتاري وتسهم باكبر نصيب في تدمير الغزو الصليبي.

وهكذا فان مصر تملك زخم الجغرافيا والتاريخ. أما المهم فانها تملك المستقبل.

مصر تتمتع ببعد بشري هائل ومتجانس ووجدان جماهيري مذهل – وهكذا فانه على الفور يتبادر الى الذهن أن مصر مؤهلة لأن تقود العالم الأسلامي إذا أنهارت الخلافة التركية.

ولقد فهم الاستعمار هذا جيداً ومع أدراكه أن الخلافة العثمانية لابد ستنهار، فكان عليه سريعاً أن يحاول تطويق مصر حتى لا تصبح هناك فرصة لقيام خلافة اكثر روعة وقدرة وتماسكا في مصر بما ان مصر تملك زخم الجغرافيا والتاريخ وتوجهات المستقبل.

كانت مصر مرشحة بفعل عوامل كثيرة أن

تكون هي البديل الصاعد لالتفاف الأمة حولها – إذا ما أنهارت الخلافة العثمانية .

بداية الاحتكاك :

بدأ الاحتكاك بين مصر «مستقبل العالم الاسلامي» وبين الأستعمار «الحملة الفرنسية» وأدرك الاستعمار أخطاء أجداده في الحملة الصليبية فاستهدف الى جانب الغزو العسكري بناء مؤسسة محلية عميلة له يستخدمها في ضرب هوية الأمة وتغييب روح الجهاد لدى الجماهير.

وهكذا كان على الأمة أن تواجه جيشاً لم يكن مسلحاً بالمدافع فقط بل بجيش من العلماء والمطابع كذلك «عملية الغزو الحضاري والثقافي» وكان عليها أن تواجه أيضاً المدرسة الاستعمارية التي صنعها نابليون من قلة من علماء الازهر الساقطين والوجهاء الخونة وبعض الأقباط العملاء «الفيلق القبطي بقيادة المعلم يعقوب» .

ولأن الأمة كانت ما تزال تحمل هويتها الحقيقية وتعرف مفهوم الجهاد المباشر فلقد تصدت وبحزم للحملة الفرنسية تصدى لها مسلمو الأسكندرية بقيادة محمد كريم وتصدى لها العربان في الصحراء من الاسكندرية الى القاهرة وتصدى لها الشعب المسلم في القاهرة ثورة القاهرة الأولى – ثورة القاهرة الثانية – مع ملاحظة أشتراك المغاربة والشوام الذين كانوا يتعلمون في الأزهر في التصدي لتلك الحملة – بل إن سليمان الحلبي يقوم بقتل الجنرال كليبر «سليمان الحلبي أزهري سوري» .

وهكذا لم تصمد الحملة كثيراً بفضل صلابة الأمة وأسلاميتها ومحافظتها على روح الجهاد ورحلت الحملة ١٨٠١ .

ولكنها تركت لنا بذور المدرسة الأستعمارية التي تطورت بعد ذلك كثيراً والتي تملك خصائص محددة لم تشذ عنها أبدا وهي :

– الأرتباط بالغرب – التبشير بقيمه من ديموقراطية وبعد ذلك إشتراكية الخ .
– غياب البعد الاسلامي لديها – محاولة ضرب هوية الأمة وروح الجهاد فيها .
– بروز عناصر تلك المؤسسة اقتصادياً عن طريق الأرتباط بالمصالح الغربية والقيام بدور الوكالة والسمسرة لها .

وفي مواجهة الاستعمار والمدرسة الاستعمارية كانت الجماهير المسلمة تملك الخصائص التالية :

– رفض الأستعمار والجهاد ضده .
– رفض محاولات التغريب وتذويب هوية الأمة .
– طرح الكفاح المسلح كشعار ضد الاستعمار والصهيونية .
– الأيمان بوحدة الأمة الأسلامية .

بخروج الحملة الفرنسية لم يستسلم الأستعمار ، عاود الرجوع في حملة فريزر ولكن الأمة انتصرت مرة اخرى لأن جسم الأمة لم يكن قد تم أختراقه بعد وفيما بعد بدأت القوى الاستعمارية في أختراق مصر عن طريق الديون وخصوصا في عهد الخديوي اسماعيل الذي وبرغم محاولاته العظيمة في فتح بعض مناطق افريقيا الا ان ذلك لم يتم لكونه لم يعتمد في

تمول حملاته على موارد مصر ولانه لم يستطع ادراك خطورة ربط اقتصاد مصر بعجلة الأقتصاد الغربي .

كان الاستعمار في ذلك الوقت قد أستطاع ان ينفذ في جسم الأمة عن طريق ربطها اقتصاديا به وعن طريق الأختراق الثقافي والأقليات وكان من الطبيعي أن يحاول الاستعمار أحتلال مصر عسكريا فكان عام ١٨٨٢ وجاء الاستعمار الانجليزي . وكان من الطبيعي أن تتصدى له الجماهير المسلمة التي تأثرت بأفكار جمال الدين الأفغاني . وهكذا وقف عرابي كعسكري مسلم ووقف أيضاً عبدالله النديم الذي يمثل ذلك المسلم الشعبي الفذ .

ولكن الأنهيار كان اكبر من أن يتصدى له جمال الدين او عرابي او عبدالله النديم وبرغم أن جمال الدين الأفغاني كان مسلما رسالياً وفذا وبرغم أنه مارس نضالا دؤوبا من أجل وحدة الأمة وبعث روح الجهاد فيها . الا ان المرحلة لم تكن مرحلته وكان المنحنى الأسلامي يهبط بشكل محزن وكان على التاريخ ان يتم دورته .

بدأ الاستعمار الأنجليزي يركز على تدعيم المدرسة الاستعمارية ليستعملها لصالحه :

– بدأ يرسم سياسة للتعليم في مصر تستهدف تدمير الهوية الاسلامية للأمة وتدمير روح الجهاد فيها .
– تشجيع أقامة أحزاب أستعمارية تطرح النموذج الغربي في التنظيم والتوجه والحركة .
– تغيير بنية الاقتصاد المصري وربطه بمصالحه الاستعمارية مع محاولة رفع طبقة ملاك الأراضي لتشكل قاعدة يستند عليها المستعمر «تغيير قانون أمتلاك الأراضي مثلا» .

وبدأت الجماهير المسلمة التي الهمها جمال الدين الافغاني في تنظيم نفسها بدءا من الحزب الوطني الأول الذي أسسه ورأسه الأفغاني الى حركة النديم الجماهيرية الواسعة الى الحزب الوطني الثاني (مصطفى كامل ومحمد فريد) .

ولقد أثبتت تلك الجماهير وطلائعها تمسكها المستمر بـ :

– التصدي للاستعمار
– التمسك بالخلافة .
– الأهتمام بالتعليم ومحاولة فتح المدارس والجامعات .
– الاهتمام بالمستضعفين ومحاولة عمل نقابات للعمال (محمد فريد) ولكن ثقل التواجد الاستعماري ساعد على كبت قوى الحركة الجماهيرية واسكاتها لفترة فيما كانت القوى الاستعمارية تنظم نفسها في مؤسسات واضحة .
– مؤسسة المندوب السامي البريطاني ، جيش الأحتلال الانجليزي ، وزارات مرتبطة بالاستعمار ، طبقة كبار ملاك نتجت عن الأستعمار وأرتبطت به ، احزاب علمانية مرتبطة بالاستعمار ، مثقفين متغربين «لطفي السيد مثلاً» يدعو للقيم الغربية والثقافة الغربية مباشرة .

ولكن كان هناك رصيداً ضخما من الجماهير المسلمة تتحفز للثورة وتحلم بأقتلاع الاستعمار وبناء حياتها وفقاً للأسلام .

كان مد هذه الجماهير يتصاعد دائماً وكان يشكل خطراً مستمراً على القوى الاستعمارية

ولم يكن هناك من يستطيع أحتوائها. بدأت ملامح تلك الثورة الجماهيرية تظهر على يد جماهير الشارع وعلماء الدين ورجال الحزب الوطني وكان على المدرسة الاستعمارية أن تعمل سريعا على أحتواء تلك الظاهرة خصوصاً أن غضب الجماهير تصاعد بعد الحرب العالمية الأولى واعلان الحماية على مصر والمظالم الواسعة التي مارسها جيش الأحتلال على مصر.

وتفجرت ثورة ١٩ وكانت أسلامية في شعاراتها وجماهيرها الا أن القوى الاستعمارية أستطاعت ان تسرق الثورة وترفع على رأسها زعيم هو سعد زغلول وهو علماني وشقيق فتحي زغلول الذي أصدر الاحكام على فلاحي دانشواي كما كان سعد زغلول أيضاً أحد وزراء مصطفى فهمي المرتبط تماما بالأنجليز.

وهكذا وبدلا من تطوير الثورة وتدعيمها جاء سعد زغلول ليوقف مدها ويهادن الأنجليز.

كانت ثورة ١٩ قادرة على أخراج الأنجليز ومؤسسات الأستعمار جميعا بحكم أنها كانت ثورة شاملة وضمت كل قطاعات المجتمع المصري، ولقد أتبعت الثورة. أسلوب التظاهر الجماهيري الواسع والكفاح المسلح والأضراب وغيرها من أساليب النضال.

ولأن هذه الأساليب فعاله ولأن الحركة كانت واسعة فإن الانجليز وبخبث شديد قدموا للجماهير تنازلاً صغيراً لالهائهم (دستور ١٩٢٣).

ورفعوا سعد زغلول على اكتاف الأمة كزعيم ليقوم بمهمته التاريخية التي قام بها الوفد من بعده في محاولة أمتصاص حركة الجماهير والألتفاف حولها.

وهكذا نشأ حزب الوفد، واستبدل هذا الحزب الكفاح المسلح والأضراب والتظاهر ضد الاستعمار أستبدل تلك الأساليب الصحيحة في النضال بالأكتفاء بالنضال القانوني وايراد الحجج والتفاوض مع الأستعمار.

وتهدئة المد الجماهيري. لم يعد للأنجليز حاجة الى الوفد فخرج الوفد وجاءت الأحزاب المرتبطة مباشرة بالاستعمار. كانت الخلافة قد تهاوت في تركيا وكان على المدرسة الأستعمارية أن تتحرك بسرعة عبر عدة محاور لتطويق أي محاولة لبعثها في مصر أوفي غيرها والأستمرار في ضرب الهوية الأسلامية للأمة وروح الجهاد فيها.

كان المهم ضرب فكرة الخلافة ذاتها وعلى يد عالم أزهري لتأخذ المسألة مسحة فقهية لابد منها وكان على عبد الرازق وكتاب الأسلام وأصول الحكم.

وكان تصعيد نجم العلمانية ومحاولة ربط مصر بأوروبا ثقافياً وكان طه حسين ومؤلفاته المشبوهة وأهمها كتاب مستقبل الثقافة الذي طرح ترك كل تراثنا وأن نأخذ أوروبا بخيرها وشرها وأن صلتنا بالعروبة والعالم الاسلامي صلة واهية وأن أمتدادنا الحقيقي عبر البحر المتوسط.

وكان تشجيع التصوف وتدمير كل القيم الأيجابية للأسلام وتحويل الأسلام الى دين سلبي ومحاولة تفسيره تفسيرا كنسيا.

وكانت محاولة ضرب التماسك الأسري



سراج الدين : خط الدفاع الاميركي

والقيم الأسلامية الأصيلة عبر الأفكار الاجتماعية المشبوهة «قاسم امين وكتاب تحرير المرأة».

وبدا أن تلك القوى قد أحرزت انتصارا هاماً على القوى الاسلامية فلقد سقطت الخلافة، وأصبح هناك حزب علماني جماهيري هو الوفد قادراً بحكم تراثه على العمل كمقال للجماهير وعلى تطويقها وتزييف وعيها وسحبها من الكفاح الجماهيري الواسع المسلح والسلمي الى النضال القانوني والمفاوضات.

كما أن الحزب الوطني برغم رفضه مسألة المفاوضات وتمسكه بالجلاء وتراثه الأسلامي في كل القضايا الا انه بدأ حزبا ضعيفا وغير قادر على الاستمرار حيث أن سقوط الخلافة كان ضربة قاصمة له.

كما أن تركيبة الاقتصاد المصري قد تم تكييفها لخدمة الاستعمار وأصبح هناك طبقة من كبار الملاك مرتبطة بالأستعمار وكذلك السماسرة.

على أنه من غياهب اليأس ينبع الأمل، فقد تقدم من وسط الأمة «حسن البنا» ذلك المسلم الفذ الذي جاء ليقف ومعه الجماهير المسلمة ضد الانهيار برغم ان المنحنى كان في منتهاه بالنسبة للعالم الأسلامي.

وظهرت حركة الأخوان المسلمين وتصدرت ومنذ الوهلة الأولى للأستعمار والجهل والأمية وضد الأقطاع وضد المؤسسات العلمانية من حزبية وعلمية وطرحت طرحاً أسلاميا متميزا وساهمت في تربية ابناء الأمة وفق عقيدة الاسلام.

بدأت تلك الحركة تدفع الأمة الى الأيجابية والى فهم الأسلام المجاهد والى رفض الأستعمار والصهيونية والى تفتيح أذهان الجماهير الى خطورة الصهيونية التي بدأت تتسلل الى فلسطين وتشكل خطرا على كيانها المسلم.

وبدا أن تلك الحركة قد أصبحت خطرا ضخماً على الوفد حزب العلمانية الأحتياطي والذي يلجأ اليه الاستعمار دائماً في فترات المد الجماهيري العالي كخط دفاع علماني أخير.

وكان على الاستعمار ان يدعم الوفد ويزيد من جبهة التطويق حول الجماهير بما أن تلك الجماهير قد بدأت ترفع حسن البنا ليصبح زعيماً قادراً على تحريكها.

وظهرت الحركة الشيوعية في مصر في الثلاثينات على يد أجانب ويهود هنري كورييل – هليل شوارتز. كانت هناك بعض الحلقات الشيوعية الفردية فيما قبل ذلك على يد جوزيف روزنتال في العشرينات وهو تاجر

ذهب يهودي أيضاً.

وبرغم أنها كانت دائماً حركة بين الأجانب واليهود بصفة خاصة ولم تجد لها أي أمتداد بين الجماهير الا انها ضمت عددا قليلا جداً من المصريين المتميزين بالانتماء الى الأرستقراطية. ولقد عمدت الحركة الشيوعية منذ اليوم الأول الى هدفين، محاولة تخفيف الأنتماء الأسلامي والقوى لدى الجماهير. تزييف حقيقة الصراع بين القوى الأسلامية والأستعمار والصهيونية ومحاولة إعطاءه بعداً طبقياً أحادي الجانب.

الجماهير المسلمة تملك زمام المبادرة

في نهاية الأربعينات كانت الجماهير المسلمة بقيادة حسن البنا قد حسمت كثيراً من القضايا مع المدرسة العلمانية الأستعمارية. كانت قد طورت منهجاً نظرياً ونضالاً عملياً ضد التغريب والثقافة الغربية وضد الأستبداد السياسي وضد الاستعمار والصهيونية وضد الخلل الأقتصادي والأجتماعي.

وجاءت حرب ٤٨ ليشارك فيها الشعب المسلم في مصر ويجدها فرصة لجمع السلاح والتدريب عليه أستعدادا للمعركة الحاسمة مع الأستعمار والصهيونية. كما أن حرب ٤٨ قد كشفت بشكل واضح عدم قدرة المؤسسات العلمانية (الملك - الوفد - الأحزاب) على خوض معارك الأمة.

كما أن الحركة الشيوعية أحد الفصائل العلمانية الأستعمارية قد أصبحت بعد حرب ٤٨ وبعد أعترافها بأسرائيل وخيانتها الواضحة للجماهير. قد أصبحت حركة لقيطة.

وتنامى المد الأسلامي تنامياً مستمراً، وتصاعد زخمة في الشارع وأصبح يغطي وجه الحياة الشعبية تماماً. وكان على الجماهير المسلمة أن تبدأ صراعها الواضح والصريح ضد الأستعمار والأستبداد والخلل الأقتصادي والأجتماعي.

ووجدت كل المؤسسات الأستعمارية (الأنجليز - الملك - الأحزاب) ان لابد من التحالف معاً لضرب الفجر القادم حتماً أو تأخيره وصدر قرار بحل جماعة الاخوان المسلمين وأغلاق مراكزها والقبض على قياداتها.

ولكن المد الجماهيري كان أوسع مما يستطيع النظام بتركيبته الأجتماعية والأقتصادية والسياسية أن تحتمله.

وأستمر نضال الجماهير المسلمة ودخل نضالها مرحلة حاسمة من تاريخ الأمة. وتآمرت كل المؤسسات الملكية والأستعمارية والحزبية وأغتيل حسن البنا على يد أحد رجال البوليس السياسي.

ولكن الجماهير المسلمة أستوعبت الصدمة وطورت اداتها النضالية لقد بدأت تمارس الكفاح المسلح ضد الانجليز في القناة وضربت الأحتلال ضربات موجعة نذكر منها معركة التل الكبير ومعارك القورين وسقط الشهداء. (احمد المنيس - عمر شاهين).

أنظر كتاب كفاح الشباب المسلم على ضفاف القناة. حسن دوح - دار القلم الكويت.

كما مارست الأنتفاضة ضد كبار الأراضي المستغلين في بهوت وكفور نجم وميت فضاله

(أستشهد في أنتفاضة كفور نجم الشهيد عناني عواد وكيل شعبة الاخوان).

«انظر كتاب دور الحركة الأسلامية في تصفية الأقطاع» دار البحوث العلمية - الكويت - محمد مورو قرقر ومن العجيب أن القوى اليسارية وخصوصاً الحركة الشيوعية قد وقفت ضد الكفاح المسلح ضد الأنجليز والأنتفاضة ضد كبار ملاك الأراضي بدعوى أن ذلك يتم تحت قيادة الرجعية.

وهكذا كانت الظروف في بداية الخمسينات تتجه أتجاهاً واضحاً نحو الحسم. أزمة نظام طاحنه سياسياً وأقتصادياً وأجتماعياً، مد اسلامي واسع، أنتفاضات ضد الأقطاع، تظاهرات في المدن، أضرابات في المصانع، كفاح مسلح ضد الأنجليز، تنظم أسلامي يملك خبرة وأخلاصاً ويملك سلاحاً وهكذا وبما أن النظام لم يعد قادراً على الأستمرار وخصوصاً بعد فشل الوفد «مقاول الجماهيري التقليدي» في أمتصاص حركة الشارع المسلم. كان لابد أن تتحرك القوى العلمانية.

وجاء عبد الناصر..

* كان الشارع يغلي بالأسلام والثورة.
* كانت مطالب الجماهير المسلمة قد تحددت بشكل واضح.
* كفاح مسلح ضد الأنجليز وضد الصهيونية.
* طرح نموذج اسلامي للعلاقات الأجتماعية، نمط مستقل غير سلطوي ولا طبقي ولا تابع للشرق أو للغرب.
* أطلاق الحرية السياسية بلا قيود ووفقاً لأحكام الأسلام وكان على عبد الناصر ان يستجيب الى مطالب الجماهير ولو شكليا ليتم له سحقها وتفريغ الشارع منها. كانت تلك مهمته الأولى ولقد تمثلت سياسة عبد الناصر على النحو التالي:

- معاملة كبار الملاك برفق بل وظهور نفس العائلات المسيطرة على الحياة السياسية والأقتصادية والأجتماعية قبل ٥٢ في مؤسسات عبد الناصر السياسية والأقتصادية «إن أسرة مثل أسرة أباظة مثلا والتي أثرت ثراء واسعاً بسبب خيانة جدها لعرابي وأرتباطه بالانجليز منذ اليوم الأول كانت هي نفسها الرافعة لشعارات المرحلة، بل إن عبد الناصر قد زار عميد تلك العائلة احمد اباظة في قرية الربعماية في الشرقية وتناول معه طعام الغذاء. وسيطر أبناء تلك العائلة على هيئة التحرير والأتحاد القومي بل كان وجيه أباظة هو أمين الأتحاد الأشتراكي في الشرقية ومحافظاً فيما بعد للقاهرة. وهو الآن صاحب توكيل البيجو في مصر وأحد أقطاب الحزب الوطني.

مع الملاحظة أن هذه العائلة مثلاً كانت تمتلك اكثر من ١٦ الف فدان ومئات القصور التي كانت العائلة تدفن تحتها كل من يتجرأ على معارضتهم سواء قبل ٥٢ أو بعده ولم يتم تطبيق قانون الأصلاح الزراعي عليها.

وبالنسبة لمسألة الصراع مع أسرائيل - والتي كانت الجماهير المسلمة قد مارست شعار الكفاح المسلح ضدها كان عبد الناصر يرى ان قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم فيها الكفاية. [إنظر كتاب هيكل «خريف الغضب» ص١٥٧].

وبالنسبة لمسألة الجلاء فقد راح عبد الناصر يوقع على معاهدة جلاء كانت الجماهير

قد دفعت حزب الوفد دفعاً الى رفضها في ١٩٥١ وبالنسبة لحرية الجماهير في ممارسة العمل السياسي فقد مارس عبد الناصر وبلا هوادة حربا ضد كل القوى السياسية وكان من نصيب الحركة الأسلامية عشرات الشهداء وعشرات الألوف من المسجونين. وهكذا فقد قام عبد الناصر بتفريغ الشارع من الجماهير ومنعها من ممارسة حريتها في العمل السياسي بل انه في النهاية قد قام بحماية أسرائيل من تلك الجماهير المتوعدة.

«وفي هذا الصدد نذكر قيام عبد الناصر بأصدار حكم الأعدام على العاملين خميس وبقري اللذين أشتركا في التظاهر داخل أحد مصانع كفر الدوار المملوكة لأحد الرأسماليين برغم أن هذين العاملين بالذات قد هتفا لعبد الناصر أثناء الأضراب.

وهكذا أوضح عبد الناصر الى أي معسكر ينتمي منذ اليوم الأول. فهو ضد الجماهير، ضد حقها في الحرية السياسية والعمل العلني. ضد أصدار صحفها المستقلة وحقها في التظاهر والأضراب والأجتماع. «قام عبد الناصر بحل كل الأحزاب وتعطيل كل الصحف من كافة الأتجاهات».

يرفع الاشتراكية العربية كشعار في حين يضرب العمال وفي حين يسيطر على القطاع العام أبناء العائلات الأقطاعية. يعادي الأسلام برغم أن الأسلام هو ضمير الجماهير وهو القوة الوحيدة القادرة على تحقيق النصر. وكانت النتيجة أن أنتهى نظام عبد الناصر في ١٩٦٧ بأفدح هزيمة عرفتها مصر بعد أن قام النظام بسحب الجيش المصري دون السماح له أن يحارب.

ولكن الجماهير المسلمة في كل هذا لم تكن لتقبل بسهولة أن تتخلى عن نضالها لأن القضية قضيتها هي وكان من السهل على الوفد العلماني مثلاً أن يقبع في هدوء منتظراً فرصة أخرى.

مارست الجماهير نضالها مع عبد القادر عودة ومع تنظم الأخوان في ٥٤، ٥٧، ٦٥ مع الشهيد سيد قطب. ومع أنه بدا للوهلة الأولى في عام ١٩٦٥ أن التيار الأسلامي قد ضرب ضربة قاصمة فهو إما قد أستشهد أو غاب خلف القضبان أو هاجر أو أستكان في الزوايا «شهدت فترة الستينات أبشع أنواع الهجوم على الأسلام لقيم أنتزاعه تماماً من ضمير الأمة تمهيداً لسقوطها في الحقبة الأسرائيلية وليسهل على الأستعمار أبتلاعنا لأن الأسلام هو الضمان الوحيد للمواجهة.

كان الجسد المسلم للأمة مازال حياً، لقد بدأ في سنة ١٩٦٦ وعلى أثر تنفيذ حكم الأعدام في الشهيد سيد قطب ظهور مجموعة أسلامية أختارت خط الكفاح المسلح والعمل السري الحديدي طريقاً لها «مجموعة الدكتور أيمن الظواهري» أنظر تحقيقات النيابة الخاصة بتنظيم الجهاد ١٩٨١م. فقد تكونت تلك المجموعة في ١٩٦٦ ولم تكشف الا في عام ١٩٨١ وأستمر خط الجماهير المسلمة صاعدا برغم سنوات القهر والسجن والمعاناة.

كانت مظاهرات الجماهير في ٩، ١٠ يونيو والتي جاءت لتعبر عن خط الجماهير الصحيح في رفض الهزيمة وطرح الكفاح المسلح ضد الصهيونية لقد كانت الجماهير تهتف هنحارب،



عبد الناصر: التفريغ والهزيمة

هنحارب، اليهود أعداء الله، يسقط عبد الناصر، فإذا بأجهزة النظام تحول تلك الأنتفاضة الى وجهة اخرى تماماً لخدمة النظام الناصري.

وكانت مظاهرات الطلبة والعمال في ١٩٦٨م والتي هتفت عبد الناصر يادجال — اليهود على القنال.

ووقع عبد الناصر مبادرة روجرز وقام هيكل بمحاولة القاء ظلال من الشك على أهمية المقاومة الفلسطينية كنواة لحرب تحرير شعبية وحدد لها دورها كورقة في لعبة المفاوضات لتنفيذ قرار ٢٤٢.

وهاجت الجماهير المسلمة في العالم العربي وكان هتافها «عبد الناصر ياجبان ياعميل الأميركان».

وانتهت حقبة عبد الناصر بعد أن أدى خدمة ضخمة للأستعمار بضرب الأتجاه الأسلامي ونزع فتيل السياسة من عقول الجماهير المسلمة ولكن هيهات.

وجاء السادات

وللوهلة الأولى أدرك السادات أن النظام الناصري قد أهترأ تماما وأن كل مقولاته وشعاراته لم تعد تستطيع أن تقنع أحداً فلقد سقطت كل التجربة في ١٩٦٧.

كانت الجماهير تغلي من الداخل، وكان الرفض الواسع لكافة أشكال المؤسسات الناصرية قد أخذ يتسع. كانت الجماهير قد رفعت صوتها في نهاية عبد الناصر مطالبة بأنهاء حكم المخابرات — والتعذيب البشع في السجون وضرب الهوية الأسلامية للأمة، كان رفض الاتحاد الاشتراكي قد أصبح سمة ظاهرة جدا، وكان رفض التبعية للأتحاد السوفييتي يأخذ أشكالاً عدة.

لم تكن الجماهير قادرة على الأحتمال أكثر من ذلك. وكان الغضب نذير بركان. وكناصري مخلص أدرك السادات أنه لابد من جراحة عاجلة في جسد المؤسسة الناصرية. والا فالعاقبة شديدة السوء وكانت اكثر الأشياء أستفزاز للأمة هو ذلك الجهاز القمعي الذي ارتكب أبشع الجرائم ضد الجماهير وأصبح على السادات أن يتحرك ليتخلص مما عرف وقتها بمراكز القوى. وأحست الجماهير بالراحة ورفع السادات شعارات الحرية وكان هذا هو المدخل الوحيد لينال السادات بعض الشعبية في الشارع يستطيع بها أن يحكم. ولكن الجماهير كانت قد حددت مطالبها بشكل واضح وخاصة عبر مظاهرات الطلبة التي التف حولها الشعب المسلم كانت الجماهير تطالب:

- بدخول الحرب مع أسرائيل وكان صبر الجماهير تجاه هذه النقطة بالذات قد نفذ تماماً.

- وكانت الجماهير تطالب بأنهاء السيطرة السوفييتية المستفزة لمشاعر الجيش والشعب.

- وكانت الجماهير تطالب بدفن جثة الأتحاد الاشتراكي وأطلاق الحريات السياسية وأعطاء الأمة هويتها الأسلامية وأستمرت مظاهرات الطلاب ولم يكن أمام السادات الا الاستجابة لمطالب الجماهير كان عليه أن ينفس البخار والا فالأنفجار قادم.

وأعلن السادات انهاء مهمة الخبراء الروس وتنفست الجماهير الصعداء.

ولكنها ما لبثت ان عاودت نضالها من أجل الحرب مع أسرائيل ومرة اخرى كان لابد للسادات من دخول الحرب وحقق السادات أنتصاراً تكتيكياً في حرب ١٩٧٣ على اكتاف الجنود والضباط المسلمين الذين سمح لهم للمرة الاولى أن يواجهوا اليهود، وأن يهتفوا «الله اكبر» وكان على اليهود ان يذوقوا كأس الصمود الأسلامي والقتال البطولي تحت شعار الاسلام العظيم.

ولكن السادات أبن المدرسة الناصرية، ربيب العلمانية والمستلب تماماً للغرب، ما كان له أن يخرج عن حدود مدرسته الفكرية والسياسية بدا السادات وكأنه نادماً على أعطاء تلك الفرصة للجنود والضباط المسلمين وتصرف وفق طبيعة مدرسته المهزومة وقام بتحويل النصر التكتيكي الى هزيمة. وقد بدأ خط التقهقر مع مفاوضات الكيلو ١٠١ ثم كان الأستسلام في ذهاب السادات الى



السادات: نتاج الناصرية

القدس ثم في أتفاقيات كامب ديفيد.

وعلى أي حال. فقد بدأ السادات يشعر أنه أصبح يمتلك غطاءاً في الشارع المصري بما حققه من انجاز في حرب اكتوبر ولكن المد الأسلامي كان تصاعدياً، ولقد أخذ شكلاً أيجابيا محددا هذه المرة كان على شكل تنظيم عسكري في أخطر مؤسسات النظام العسكرية (الكلية الفنية العسكرية) ولقد حاول ذلك التنظيم القيام بانقلاب عسكري لم يكتب له النجاح الا انه ترك بصماته الواضحة على عمل الحركة الاسلامية فيما بعد وعلى شكل النظام المصري كله.

كان لابد للسادات وأمام تلك الحيوية المذهلة للكيان الاسلامي أن يحاول تطويق ذلك المد. ولم يكن أمامه الا إلغاء الأتحاد الاشتراكي وأعلان قيام المنابر ثم الأحزاب أي السماح بهامش من الحرية محدود يستخدمه أساساً في تنفيس ضغط الجماهير وتطويق الحركة الاسلامية التي بدأت تأخذ خط الكفاح المسلح.



الشيخ المجاهد أحمد المحلاوي

ومن العجيب أن السادات قد سمح بأحزاب «لليمين والوسط واليسار» دون ان يسمح لأي اتجاه اسلامي بالعمل العلني والتنظيم المستقل لانه يدرك أن الاتجاه الاسلامي يملك امتداداً تاريخياً وجغرافياً واسعا كان من الممكن ان يقلب كل توازنات النظام.

السادات ولحل أزمة نظامه الاقتصادية ولمحاولة علاج الفشل الذريع للقطاع العام، قد بدأ يطرح الأنفتاح الاقتصادي كحل وبالتالي فقد صعدت طبقة من الرأسماليين الطفيلين (سمسرة - وكلاء) وكان الطبيعي أن تحدث تقلصات داخل جسم المجتمع. ولم يكن امامه بد من السماح باستيعابها عن طريق الأحزاب.

ولم يتوقف خط الكفاح الاسلامي المسلح (قضية الجهاد ٧٦، ٧٨). ولم يتوقف نضال الجماهير المسلمة، فقد كانت الحركة الاسلامية في الجامعة والشارع تتظاهر ضد الغلاء، وضد التفسخ الأخلاقي، وضد زيارة الشاه.. وأصبحت المساجد مركز المعارضة الرئيسية لكامب ديفيد وللأنفتاح (الشيخ احمد المحلاوي في مسجد القائد ابراهيم في الاسكندرية، الشيخ حافظ سلامه وجمعية الهداية في السويس الشيخ عبد الحميد كشك في مسجد الملك، الشيخ عبد الرشيد صقر في مسجد المنيل الخ..

أنقلاب المنحنى

كان المنحنى الاسلامي قد وصل إلى نهاية أنحداره بصعود المنحنى الأسرائيلي الى قمته في كامب ديفيد ولكن الله كان يقدر امراً آخر إذ انبعث الاسلام الرسالي من طهران كما الفجر وحدث أنقلاب في المنحنى وبدأ الصعود الثاني للأسلام يهدد العلو والإفساد الإسرائيلي وكل القوى المرتبطة به.

وأصبح من الطبيعي أن يؤثر ذلك على حركة الأتجاه الأسلامي في مصر فقد ازدادت الثقة في المستقبل إتساعاً وأخذت الجماهير تعيد تنظيم نفسها من أجل أقامة حكم الأسلام وأحس السادات بالخطر الحقيقي من تلك الحركة الصاعدة والتي ظهرت في المساجد والمصانع والمدارس والجامعات والنقابات وبين أوساط العدد الهائل لموظفي الدولة.. والجيش ايضاً. ولم يعد امام النظام الا قمع الجماهير المسلمة وبشدة.

وهكذا كانت أحداث ٥ سبتمبر التي تم خلالها اعتقال الآلاف من عناصر الاتجاه الاسلامي. ولكن الحركة الاسلامية كانت تملك روح الأنتصار وكان محمد عبد السلام فرج وخالد الأسلامبولي وأغتيال السادات في

عمل حسيني رائع ومباشرة بعد ذلك انتفاضة أسيوط أو موقعة «ذي الحجة» كما يسميها الشعب المصري. وبدا أن وعياً هائلاً قد تفجر وأن ثقة ضخمة قد أنبثقت لدى الجماهير وأن الجماهير المسلمة أصبحت تدرك أنها قادرة على صنع الأنتصار والتصدي، للنظام وأنتزاع حقوقها. وأصبح على المدرسة العلمانية أن تتحرك سريعا لأنقاذ نفسها عبر عدة حلقات:

– حصار الأتجاه الاسلامي، شنق، تعذيب، سجن، مطاردة، محاولة شق وحدة الحركة الاسلامية، أستيعاب جزء من الأتجاه الاسلامي داخل الاحزاب العلمانية «وهو ما حدث في التحالف بين الوفد والأخوان»، تقديم قرابين للتغطية على فضائح النظام (مثال عصمت السادات). محاولة أرجاع سياسات النظام الى عقد السادات الشخصية وليس الى طبيعة النظام وهو ما يعني الهاء الجماهير عن المؤسسات العلمانية بأتجاه العقد النفسية لأشخاص انتهوا التخلص من العناصر المفضوحة داخل الحزب الوطني الحاكم، توسيع هامش الحريات ولكن بشرط الا يشمل الأسلاميين الا من خلال قوى علمانية أخرى كالوفد مثلاً.

ثلاث خطوط دفاع أمريكية:

تعتمد أمريكا في أستراتيجيتها في المنطقة على مقولة بسيطة مفادها «اعطونا البترول – أفتحوا لنا الأسواق والغوا بعد ذلك أباءنا» ولا شك أن امريكا تدرك ان الخطر الحقيقي عليها في المنطقة هو الأسلام والأسلام



مبارك: نظام بلا مرتكزات

بالتحديد. وهكذا فإن امريكا قد أعدت ثلاث خطوط دفاع امام الخط الأسلامي الزاحف في مصر.

حكومة الحزب الوطني «شيئ من الديمقراطية، شيئ من النظافة، كثير من الأرتباط بأمريكا» مع أستيعاب الأتجاه الأسلامي في المعارضة من داخل أحد الأحزاب العلمانية.

إذا تنامى المد الأسلامي وتصاعد ولم تعد تلك الحكومة قادرة على مواجهته فليكن هناك الناصريين، حيث يقومون باعطاء امريكا السوق ولن يضايقوها في امدادات البترول ولا مانع من مسحة اشتراكية.

إما إذا كان المد الأسلامي أعلى من أن يستوعبه الناصريون فلنأتي بالوفد ولا مانع من أتجاه أسلامي غير جذري. أسلام غير جماهيري، أسلام لا يستطيع أو لا يريد أن يواجه امريكا.

الفخ:

الحركة الاسلامية في مصر الآن في مفترق طريق صعب. فأما أن تحافظ على استقلالها وتراثها في الكفاح المسلح والنضال السياسي ورفض كافة أشكال الحلول الوسط والمهادنة مع الأنظمة العلمانية أو الأحزاب العلمانية والأرتباط الأوسع والأوثق مع الجماهير وأما أن تسقط في الفخ الأمريكي المنصوب. فتتحالف مع العلمانية معطية اياها شرعية لا تستحقها وبالتالي تصبح الحركة الأسلامية جزءا من اللعبة السياسية تقبل بأطرها السياسية وترقص على انغامها وتخضع لقواعد اللعبة.

مرة اخرى اما خط الأفغاني، البنا، سيد قطب، صالح سرية، محمد عبد السلام. خط الكفاح المسلح، النضال السياسي، والرفض الجذري للعلمانية.. وأما الوقوع في المستنقع..

محمد علي احمد

القاهرة

ملاحظات حول التاريخ الفلسطيني الحديث

لقد وافقت بريطانيا على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب الى اليهود في عام ١٩٣٤ ولولا الثورات العربية المتلاحقة لتم أنجاز هذا في الموعد المحدد..

حاييم وايزمان

في مذكراته التجربة والخطأ الصادرة عام ١٩٤٩.

إن دراسة تاريخ دخول اليهود الى فلسطين والصراع التاريخي الذي دار على أرضها يعطي للوهلة الأولى النتائج الخطيرة التالية:

* أن جماهير المسلمين المستضعفين (فلاحين — عمال — فقراء المدن) هم الذين وقفوا بصلابة في وجه الغزوة الصهيونية وتصدوا لها منذ اليوم الأول وتحت شعارات أسلامية.

* أن الوجهاء — الأقطاع — البرجوازية — قد نهجوا جميعاً نهجاً مهادناً (حلول وسط — مفاوضات — وفود الخ) ولم يطرح هؤلاء يوما الكفاح المسلح بل دائماً اعتمدوا على وعود الصديقة بريطانيا. كما أنهم لم يطرحوا الشعارات الاسلامية لمواجهة الثورة بل طرح قطاع كبير منهم العلمانية.

وعلى كل حال فهذا أمر طبيعي جداً فالتناقض بين البراجوازية — الوجهاء وكل العلمانين من جهة والصهاينة من جهة ليس الا تناقضاً ثانوياً (هامش من المصالح المشتركة وهامش من المصالح المتضاربة).

ولكن الجماهير المسلمة الكادحة كانت دائماً تملك رؤية فطرية لطبيعة ذلك الصراع. فضلاً عن أن توجهاتها الحقيقية كانت دوماً أسلامية وبالتالي فان تركيبتها الشخصية ومصالحها الذاتية تقف مباشرة ضد الاحتلال الصهيوني. ولا تملك أي قدر من المصالح المشتركة معه.

وهكذا فقد مارست تلك الجماهير المسلمة منذ اول يوم خطها الصحيح «ايديولوجية أسلامية — كفاح مسلح».

على أنه ينبغي فهم الصراع من منظور التناقض الرئيسي والأخذ في الأعتبار التناقضات الثانوية: وأن القوى تتحدد على النحو التالي:

* **قوى أستعمارية**: (بريطانيا — الصهاينة) تستهدف أقامة كيان في فلسطين لليهود. يكون حاجزاً ضد البربرية لحماية اوروبا منها كما حدد ذلك هرتزل بنفسه. وهذا يحقق الهدف البريطاني وفي ذات الوقت يكون هذا الكيان بمثابة دولة لتجميع يهود الشتات الذين عانوا من الأضطهاد طويلاً. وهذا يحقق هدف اليهود.

والطرفين، اليهود — الانجليز، يستهدفان بهذا الكيان حضارة الأمة بأسرها — وتدمير التوجه الأسلامي لدى الجماهير بما أن الجماهير هي الحائط الأخير والصلب والذي لم ينهار يوما — ولن ينهار باذن الله — في مواجهة المحاولات الشيطانية الصليبية واليهودية لتدمير الأسلام.

ويكمن التكتيك الشيطاني (يهود — أنجليز) في دفع ظروف الصراع بأستمرار في تغييب الجماهير المسلمة عن أداء دورها بما أنها تدرك عدم جدوى مواجهتها وذلك عبر طمس معالم التناقض الجوهري وتصوير المسألة على أنها ليست صراع بين جماهير المسلمين وبين الاستعمار كله واليهود ولكن على أنه صراع بين القومية العربية مثلاً والقومية اليهودية — والأنجليز على الحياد. أو على أنه صراع بين الوجهاء — الأقطاع، البرجوازية، وبين اليهود والجماهير ليست مستهدفة. أي في النهاية دفع التناقضات الثانوية لتحل محل التناقض الجوهري.

وأيضاً عبر دعم العلمانية العربية لتحل تدريجياً محل الأسلام وليس بغريب أن تشجع بريطانيا التوجهات القومية لدى الشريف حسين وغيره على طول المنطقة وعرضها — وتشجيع كل الفكر العلماني من قومي واشتراكي وغيره وهذا أمر واضح بما لا يدع مجالا للشك وليس هذا مكان دراسة تطور هذه القضية وأبعادها ولكن يكفي أن نقول أن قيام أسرائيل عام ١٩٤٨ كان عقب قيام الجامعة العربية ١٩٤٥م بتشجيع من الانجليز واضح جداً.

أن كل رواد الفكر العلماني كانوامن غير المسلمين

ان الحركات الشيوعية في المنطقة عموماً أنشأها يهود. هنرى كوربيل وهليل شوارتز في مصر مع ملاحظة ان كل تلك التوجهات نشطت أبان أرتفاع المد الجماهير في فلسطين. فقد نشأت الحركة الشيوعية ونشطت في مصر مثلاً في اعقاب ثورة ١٩٣٦م.

قوى عربية علمانية: غير أسلامية بالمفهوم الصحيح ويمكنها أستخدام الأسلام أحياناً بشكل رجعي ومتآمر لتبرير خياناتها والخداع الجماهير. وهذه القوى أما رأسمالية — رأسمالية زراعية — برجوازية صغيرة — اشتراكية الخ.. وهذه القوى تملك تناقضاً مع الجماهير جوهرياً أيضاً فيما تحمل تناقضاً ثانوياً مع الغزوة الأستعمارية الصهيونية وهي في صراعها تتسم بـ:

— عدم قدرتها على مواجهة الغزوة مواجهة علمية وفقاً لطبيعة الغزوة وظروفها وعدم قدرتها على ممارسة الكفاح المسلح.

— تنهج نهج الحلول الوسط التي تضمن بها مصالحها. فهي تفاوضيه ويمكنها في هذا الأطار أن تلعب دورين في وقت واحد، فهي

من ناحية تحاول أن تستفيد من حركة الجماهير في تحسين ظروف التفاوض ومن ناحية اخرى تستخدم التفاوض ذاته في تحذير الجماهير وصرف أنتباهها وتدمير حركتها وتحجيمها بالتالي. وسوف نفرد فصلاً مستقلاً انشاء الله لدراسة طبيعة هذا المعسكر.

قوة الجماهير المسلمة: وهي كما سبق تحليلها تتكون من عموم الأمة وتملك تناقضاً رئيسياً مع الأستعمار والصهيونية معا وتدرك أن حضارتها ودينها وكيانها ومصالحها جميعاً مستهدفة وهذا الفصل لدراسة تطور صراعها مع الأستعمار في فلسطين على أنه ينبغي أن ننوه بأن المشكلة الرئيسية التي واجهتنا في هذا الصدد ليس قلة المعطيات التي تثبت نظريتنا في فهم الصراع ولكن كثرة المعطيات الى درجة مذهلة ورائعة. فالحقيقة أن هذا الصراع كان من الأستمرار والتنوع والأبداع — رغم الظروف الصعبة الى درجة أذهلتنا وكان يمكن ان نستدرج الى استطراد لا نهائي في تسجيل ذلك ولكن موضوع بحثنا لا يحتمل ذلك الاستطراد ولا قدرة الكاتب تسمح به وبالتالي فاني أدعو أن يكون هذا موضوع بحث مستقل يقوم به من هو اقدر منا واكثر تخصصاً لأننا نعتقد بلا مبالغة أن عطاء الجماهير المسلمة في فلسطين كان عطاءاً أسطورياً يجعل أقل الناس ذكاءاً يحني جبهته اعجابا لهذا الشعب المسلم البطل. ويجعل ايضاً أقل الناس ذكاءاً يصل الى حقيقة أن الجماهير المسلمة هي وحدها التي قاومت وهي وحدها صاحبة الحق في المقاومة وبالتالي فان تغيبها او تحريكها عن غير الإسلام، خيانة كبرى.

وهكذا فإننا سنركز بإختصار على تتبع ذلك الصراع وأثبات استمراريته وأصالته وسنورد رؤوس موضوعات ليس الا والتي تحتاج كل منها الى دراسة مستقلة.

بداية الغزوة والظروف الموضوعية لعمل الجماهير المسلمة:

أن الغزوة بما أنها جزء من التآمر الذي لم ينقطع يوماً على العالم الأسلامي بدأت بمحاولة استعمارية من أساطين الدهاء الانجليز بأستغلال الحلم اليهودي لأقامة وزرع كيان صهيوني في قلب الأمة الاسلامية لمنع تطور حركة المد الأسلامي ولمحاولة القضاء على تلك الأمة وليكون اليهود حاجزاً ضد البربرية.. ولقد التقى ذلك مع أساطين الصهيونية الذين حملوا نفس الرغبة يغذيها حق تاريخي على الأسلام. وكان أن بدأ العمل لتحقيق ذلك.

وهكذا وجدت الجماهير المسلمة نفسها أمام الوضع التالي:

— استعمار انجليزي. يستهدف تحقيق دولة يهودية في فلسطين كجزء من الهجمة الأستعمارية ضد العالم الأسلامي.

— تدفق يهودي على الأرض.

— وجهاء — وحكومات.. ومثقفين علمانيين، باردي الأعصاب تجاه ذلك. بل ويمكن ان يؤدوا دورهم في مساعدة ذلك عن وعي أو عن غير وعي.

— سقوط وأنهيار الخلافة الاسلامية العثمانية وما سببه ذلك من سحب رصيد الثقة بالنفس. بل وانهياراً إسلامياً شاملاً عبر

محاولات العلمانية والأستعمار في طمس معالم الإسلام الإساسية وأهمها الوحدة الأسلامية ومفهوم الجهاد تماماً.

— غياب طليعة اسلامية قادرة على قياده الجماهير وتطوير نظرية سياسية أسلامية ومنظمات لمواجهة أعداء شديدي التنظيم.

وبرغم كل هذا كانت الجماهير المسلمة أروع واكثر تجاوزاً.

* **الصدام يبدأ**:

بوعي اسلامي فذ بدأت الجماهير المسلمة تصطدم بالمهاجرين اليهود منذ أول أيامهم على أرض فلسطين. فلقد قام أهالي قرى الخضيرة وبتاح تكفا (ملبس) بالهجوم على المهاجرين اليهود الذين حاولوا الأستقرار في فلسطين وقد حدث هذا عام ١٨٨٦م.

بداية بيع الأراضي:

رفض الفلاحون الفقراء بيع أرضهم إلى اليهود رغم ديونهم ورغم محاولات الحكومة الأنجليزية بالتضييق عليهم عبر فرض الضرائب ودفع الفلاحين الى الأفلاس ليضطروا الى بيع أرضهم وأصدار قوانين تجيز انتزاعها من أجل اغراض المنفعة العامة التي يحددها الانجليز بالطبع. وبرغم ان الانجليز، قاموا بإغلاق المصرف العثماني الذي كثيراً ما كان يساعد الفلاحين على تسديد ديونهم وبرغم كل تلك الظروف فإن مسألة بيع الأراضي لم تسجل يوماً قيام فلاح فقير ببيع أرضه الى اليهود اما الذين باعوا فكانوا كالآتي:

— أسر كبار الملاك المرتبطة بالاستعمار والمقطوعة الصلة بالأسلام والأمة وغائبة عن فلسطين ومعظمها يعيش في لبنان مثل سرسق، تيان — تويني — مدور وقد كونت ثروتها عن طريق أداء الخدمات للأستعمار.

— عائلات مسيحية فلسطينية كسار — روك — خوري — حنا.

وهذا يشكل ٩٣٪ من مجموع الاراضي التي بيعت.

الجماهير المسلمة — رجال الدين الشرفاء — مثقفين مسلمين ثوريين يبدوأون في التحرك ضد الغزوة وعقدوا الأجتماعات وطالبوا بـ:

— منع هجرة اليهود

— منع بيع الأراضي

— فرض حظر على أجتماعات اليهود.

كما قاموا بالتظاهر كوسيلة من وسائل الأحتجاج.

كما قاموا بأستعمال الصحافة كسلاح تنوير وكشف لطبيعة الغزوة الصهيونية.

وكسلاح لتعريف الجماهير بأبعادها الدينية والحضارية وكسلاح للتعرية وجه بريطانيا القبيح وأتهامها بأنها مسئولة مسئولية مباشرة عن الأستيطان اليهودي وبالتالي فيجب التوجه ضد الانجليز واليهود معاً (الكفار).

وكسلاح أساسي في حشد الجماهير لتكوين منظمات قادرة على التصدي للغزوة.

ولنأخذ على ذلك مثلاً واحدا يبين مدى وعي طليعة الجماهير بأبعاد الغزوة:

نشرت صحيفة الكرمل على لسان أحدى المنظمات التي افرزتها حركة الجماهير بياناً جاء فيه:

«هل تقبلون أن تصبحوا عبيداً للصهاينة الذين جاءوا لطردكم من بلادكم مدعين انها بلادهم.. أيرضيكم ذلك أيها المسلمون؟..

أننا نؤثر الموت على أن نسمح بأن يحدث ذلك.

ثم جاء النداء الشعبي على القيام بما يلي:

- توجيه الضغط على الحكومة للعمل على حظر بيع الأراضي الأميرية الى الأجانب.
- محاولة تطوير صناعات ومهن وطنية محلية وعدم التعامل مع الانجليز واليهود.
- استخدام القوة واجب على الأهالي لمنع بيع الأراضي وقتل سماسرة بيع الأراضي.
- العمل بكافة الوسائل على وقف الهجرة اليهودية.

هذا يوضح ان حركة الجماهير المسلمة قد أدركت مبكراً:

- كون الصراع عقائدي.. «أيها المسلمون».
- كون الصراع ضد الاستعمار الأنجليزي واليهود معاً
- كون الأستعمار الصهيوني ظاهرة عقائدية واستعمارية في نفس الوقت وبالتالي فأن مواجهتها بالمقاطعة الاقتصادية وبناء حائط أقتصادي في مواجهتها.
- استخدام الكفاح المسلح ليس ضد اليهود وحدهم ولكن ضد عملائهم (سماسرة الأرض).

هذا وقد استمرت الجماهير في حركتها عبر وجود عدة منظمات سياسية وعسكرية مثل المنتدى الأدبي.. والنادي العربي ونادي الأخاء وجمعية الفدائية وسوف ندرس جمعية الفدائية بشئ من الأيجاز.

جمعية الفدائية:

تسعى الحركة الى تسليح الأعضاء بالاسلحة الخفيفة واعداد قوائم بأسماء اليهود البارزين والعناصر الموالية للصهيونية من غير اليهود مع تسجيل مكان اقامة كل منهم - متابعة ما ينشر ويقال باللغة العربية بين اليهود.

كانت الجمعية تهدف كما يتضح من الكلمات السابقة الى الاعداد للكفاح المسلح والثورة المسلحة.

ولقد وصف وايزمان نشاطات هذه الجمعية وغيرها في تقرير بتاريخ ٨ شباط سنة ١٩١٥ ويستفاد من التقرير أن أعضاء الجمعيات: «كانوا يوفدون أحيانا الى القرى لاثارة الفلاحين ضد اليهود. وتحاول هذه الجمعيات كذلك تنظيم الأرهابيين والمؤسسات السرية لكي تقوم فيما بعد بحرب عصابات ضد اليهود. وقد أنخرط نفر منهم في صفوف رجال البوليس».

الأستاذ جودت الحلبي أحد زعماء هذه المنظمة يقول: «لقد أبتعنا من الاسلحة بقدر ما أردنا وسنتلقى المزيد أيضاً. وإن عملنا الرئيسي ينبغي ان يكون ضد اليهود. ولكن إذا ساعدتهم الحكومة فسنكون ضدها أيضاً».

وجاء في تقرير آخر مقدم الى دائرة الأستخبارات الصهيونية «دعا السيد محمود عزيز الخالدي إلى إن شباب هذا البلد لا يخشون أحداً بما في ذلك الحكومة الاستبدادية نفسها. أنهم يريدون البدء بالعمل حالا وهم جميعاً على استعداد لملاقات الموت سعداء. وإن معظمهم يسألونني دائماً عن الموعد الذي يشرعون فيه بالثورة ضد الكفار ويظهرون فيه قوتهم ويتخلصون منهم الى الابد».

وهكذا أستمر خط أيديلوجية: اسلامية

- كفاح مسلح - في التصاعد والنمو ويجدر بنا أن نشير هنا الى محاولة اغتيال وايزمان والتي اكتشفت قبل وقوعها.

ولعل كل هذه الحركة قد تركت تراكمات وعي وأضاءة في عقول ونفوس الجماهير مما أدى الى أن يصبح الوضع على وشك الأنفجار في أية لحظة وتبدأت المظاهرات في مارس سنة ١٩٢٠ في القدس وأخرى بعدها.

في يوم ١ مارس شنت عصابتان مسلحتان هجوماً على أثنتين من المستوطنات اليهودية الواقعة قرب الحدود السورية وهي المطلة وتل حي وقد قتل في هذين الهجومين الكابتن جوزيف ترامبلدور وهو عسكري صهيوني بارز وستة يهود آخرين».

ثورة العشرين:

وفقا للمناخ السابق ونتيجة لأستمرار حركة الجماهير المسلمة كان من الطبيعي أن تستفيد قيادات الجماهير المسلمة من الأعياد الأسلامية التش تشكل زخما كبيراً في نفس الجماهير. فكان أن بدأت مظاهرة ضخمة جداً ثم مالبثت أن تحولت الى هجوم على اليهود بالحجارة، وأشتباك معهم وظلت أعمال العنف طيلة الفترة الواقعة بين الرابع من يسان والعاشر منه على الرغم من أعلان الأحكام العرفية.

وبدلاً من استثمار تلك الانتفاضة الرائعة في زيادة حجم الثورة على اليهود والأطاحة بهم مع الانجليز قام الوجهاء بمغازلة السلطة البريطانية ولقد طالبت مجلة الكرمل المعبرة عن ذلك الأتجاه «ان الحكومة البريطانية، حكومة قوية ومن ثم فمن الصعب علينا ان نحاربها. فلابد لنا إذا من أن نجعل ثورتنا تقتصر على محاربة خصومنا».

ولكن حركة الجماهير المسلمة لم تتوقف وقامت المظاهرات في حيفا ثم بعدها في يافا وذلك خلال الأسبوعين الأولين من أيار سنة ١٩٢٠ في يوم ٥ آيار تجمع نحو ٣٠٠٠ عربي الى الشمال من مستعمرة ملبس (بتاح تيكفا) اليهودية التي تبعد عن يافا عشرة أميال.. وتجمع حشد قوى آخر جنوب المستعمرة يتألف من عدة مئات من الرجال «ولقد اصطدموا مع اليهود والسلطة البريطانية».

وسوف نقرأ معاً تقرير لجنة كرافت: «في مركز أسلامي صغير من هذا النوع نجد لدى الناس ذهنية سياسية تفوق ما يقابلها في قرية انجليزية ونجد أن بحث الأمور السياسية هو محور أهتمامهم الفكري الأكبر إن لم يكن المحور الوحيد».

صموئيل يعرب عن شعوره بالأمتنان «لزعماء الحركة الوطنية العربية» يقول صموئيل: «في تقرير رفعه الى تشرشل: «بذلت اقصى جهدي لتهدئة الحالة فلو ان الزعماء السياسيين عملوا على تأجج نيران الأضطرابات الحالية بدلا من كبح جماحها فإن البلاد بأسرها كان يحتمل ان تنغمس في حالة من الفوضى وما كان النظام ليعود الا باكبر قسط من الصعوبة».

وهكذا فإن الجماهير المسلمة تنتفض وتثور والوجهاء والبرجوازية العلمانية تجتمع تنفض لتقرر اختيار وفداً فلسطينياً عربياً لشرح القضية العربية الفلسطينية في اوروبا ولندن.. من القرارات المؤتمر الفلسطيني الرابع. مع

ملاحظة أن المؤتمر يوصي بضرورة تجنب جميع الحركات غير المنظمة !

وهكذا فان البرجوازية العلمانية لا تخرج من خطها التقليدي وهو «التفاوض» كطريق لحل القضية. والبرجوازية العلمانية لا تخرج عن هذا الخط أبداً الا أنها وأحياناً تحت دفع الجماهير ربما تتصلب شيئاً ما.

الجماهير تقاوم الهجرة بواسطة العنف :

اكتشفت الجماهير أن الوفد الذي ذهب الى لندن تاه في الحلول الوسط ويمكن أن يقبل الأنتداب البريطاني – أدركت الجماهير أنها وحدها القادرة على وضع حد للهجرة وهكذا بدأت الجماهير في تنظيم نفسها لمقاومة الهجرة بالغارات على اليهود.

وعقدت الأجتماعات في الخليل والرملة وطولكرم وحددت طريقها في الكفاح المسلح.

ولقد حاول الصهاينة أن يواجهوا هذا بحملة منظمة ضد المويديناضلين وذلك بعمل جمعيات شكلية تدعي معارضة اليهود ولكن دون اللجوء الى العنف.

«وهدف هذه الجمعيات هي العمل مع الحكومة وتنمية علاقات طيبة بين مختلف قطاعات المجتمع».

«لاحظ الآن روابط القرى»

ولقد تمخض ذلك عن قيام أضراب شامل بمناسبة وعد بلفور وقام المسلمون بأطلاق الرصاص على اليهود ووقعت صدامات عنيفة بين الطرفين.

وأستمرت البرجوازية العلمانية متمثلة في الوجهاء وبعض القوى الوطنية والقومية في تحركاتها لدفع التفاوض إلى الأمام وتحقيق أفضل الشروط من ناحية وتهدئة وتخدير الجماهير من ناحية اخرى. ولكن السؤال الذي يبرز حتى الآن: لماذا لم تنجح الأمة في تصعيد تحركها. والأجابة على هذا التساؤل تدفعنا لفهم طبيعة السقوط الأسلامي عموماً في تلك الحقبة. وكذلك عدم قدرة تلك الجماهير حتى تلك المرحلة على أفراز منظمة ثورية تتمثل فيها خصائص تلك الجماهير المسلمة.

١٩٢٣ - ١٩٢٩ .. الهدوء

لاشك أن وجود الأحزاب العلمانية وغير الجماهير وغياب تنظيم أسلامي ثوري لجماهير المسلمين قد جعل فلسطين تمر بحالة من الهدوء في تلك الفترة. ولكن لا يعني هذا عقم الرحم الجماهيري عن ولادة حركة أسلامية» وفي الحقيقة فإن مسألة المفاوضات وصلابة الأحزاب العلمانية أو عدم صلابتها تتوقف تماماً على مدى تقدم الجماهير. في الفترة التي يشتد فيها المد الجماهيري تظهر أحزاب أشد صلابة في أطار التفاوض ولكن ما أن حدث جزر في مد الجماهير حتى ظهر على السطح أحزاب عميلة بطريقة مباشرة أو أحزاب معتدلة مثل الحزب الذي أسسه عارف الدجاني «الحزب الوطني» وقام الحزب برفع شعارات تصالح مع اليهود والانجليز.

ثورة البراق :

وكالعادة وأستثماراً للمخزون التاريخي الهائل الذي يدفع المد الجماهيري الى الأمام وفي ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام وفي يوم الجمعة ١٤ آب سنة ١٩٢٩م.

قامت الجماهير المسلمة: بالتظاهر وأستمرت حركتها الى أو وصلت الى أعلى مدها يوم ٢٣ آب وذلك بقيام الجماهير المسلمة في القدس بالهجوم على اليهود مسلحين بالعصي والمسدسات وحتى بالسيوف. وقد تجاوب معهم مسلمو نابلس والخليل فهاجموا اليهود حيث قام عرب الخليل بقتل ٦٠ يهوديا وجرح اكثر من ٥٠.

وأمتدادا لحركة الجماهير الواسعة قام بعضهم بمحاولة عنيدة لأنتزاع الأسلحة من مراكز البوليس في نابلس وفي يافا قامت ثورات مماثلة. وكذلك في حيفا شنت غارات على حي هادار هاكرمل ضاحية حيفا اليهودية.

وفي ١٩ آب شن العرب هجوما على الحي اليهودي من صفد حيث قتل أو جرح نحو ٤٥ يهودياً واضرمت النيران في عدة منازل وحوانيت يهودية.

وقد أدى تصاعد المد الجماهير في تلك الثورة الى زيادة تصلب بعض رجال الأفتاء ورجال الدين الرسميين.

ملاحظة: يجب أن نرصد في ثورة البراق الشهيرة مايلي:

١ – أن بواعثها ونقطة تفجيرها كان بسبب ديني.

٢ – بداية أنتهاء سيطرة الزعماء على الجماهير.

٣ – أن الجماهير بما تملك من رصيد تاريخي وتناقض حقيقي مع الكيان الصهيوني قادرة تماماً على مواجهته.

٤ – أن الجماهير أدركت أن الانجليز واليهود في خندق واحد.

ومن العجب أن يدعو اليسار الفلسطيني في ذلك الوقت الى توجيه المقاومة نحو الانجليز لا نحو اليهود.

كما تخلى الوجهاء عن الثورة واعلنوا تبرؤهم منها في بيان رسمي وقعه النشاشيبي وموسى كاظم الحسيني.

الجماهير في حاجة الى منظمة ثورية :

أحست الجماهير أنها في حاجة الى منظمة ثورية تبني طاقاتها وتتبنى شعاراتها وتنهج خط الكفاح المسلح.

ولقد عرض شكيب وهاب القائد الثوري السوري «لاحظ البعد الأممي للحركة الأسلامية» في حديث اجراه مع المفتي الأكبر تنظيم عصابات للقيام بحملة ثورية يمكن أن تستمر طويلاً ولكن المفتي قال أنه لا يعتبر ذلك ضرورياً في الوقت الراهن.

وكذلك أفادت تقارير البوليس في تلك الفترة أن يجري جمع التبرعات كما أنه وقع الأختيار بالفعل على ٤٠٠ عربي يشكلون نواه قوة مسلحة».

وبعدها أفادت التقارير أيضاً أنه تم تشكيل عصابات لمهاجمة الموظفين اليهود والبريطانيين وستعمل هذه العصابات في حيفا ونابلس.

منظمة الكف الأخضر :

أنجب التحرك الأيجابي للحركة الجماهيرية

المسلحة ظهور منظمة أطلق عليها أسم الكف الأخضر تتبنى خط الكفاح المسلح.

نشأت المنظمة بقيادة احمد طافش في تشرين ١٩٢٩ وشنت خلال الشهر نفسه هجوماً على الحي اليهودي بصفد. وأمتد نشاط المنظمة الى عكا حيث بدأوا يعدون الكمائن لدوريات البوليس.

الا أن تلك المنظمة قد أنهارت بسرعة وذلك بمساعدة السلطات الفرنسية في المنطقة الخاضعة للأنتداب الفرنسي عن بلاد الشام.

ومازال ايضا الزعماء يتفاوضون في لندن !! وظهر الكتاب الأبيض ثم الكتاب الأسود وكلها لأمتصاص مد الجماهير ومنعها من تنظيم نفسها وخلق جو من الضباب حول الأسلوب الصحيح المتمثل في أيديولوجية أسلامية وكفاح مسلح.

أنتفاضة ١٩٣٣: حيث انه لا يمكن لحركة الجماهير المسلمة أن تنهار أو تتوقف وهكذا عمت فلسطين انتفاضة عنيفة بدأت من يافا وأمتدت الى حيفا ونابلس. وصفد والناصرة وطولكروم أما في عكا فقد استخدم الشيخ الشقيري نفوذه لمنع وقوع مظاهرة كان من المقرر القيام بها.

ثورة القسام:

وهكذا تزيد وعي الأمة بحقيقة الصراع وطبيعته وبدا أن الطرح الوحيد الصحيح هو منظمة ثورية أسلامية للكفاح المسلح ضد اليهود والأنجليز. وهكذا نشأت حركة عز الدين القسام.

«عز الدين القسام سوري المولد اسلامي الثقافة، هاجر الى حيفا عام ١٩٢١ بعد أن شارك في الثورة ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا والذي كان فيها قائدا بارزاً ولم يجد الشيخ القسام بفضل ما يتمتع به من ثقافة دينية واسعة وبراعة في الخطابة صعوبة في الأنضمام الى جهاز التعليم في المدرسة الأسلامية بحيفا. ثم انضم بعد ذلك الى جمعية الشبان المسلمين التي تولى سنة ١٩٢٦ رئاستها ووقف القسام بوصفه مسلما تقيا ورجلا وطنياً، ضد الصهيونية والحكم البريطاني ومن عام ١٩٢٩ أخذ يتجول في قرى شمال فلسطين بوصفه موظفا في المحكمة الشرعية بحيفا وأستطاع بفضل اتصالاته هذه بالفلاحين في القرى وبالمصلين في المسجد ان يجند بعض العناصر الثورية التي نظمها في خلايا سرية لا يتجاوز عدد أفراد الخلية الواحدة منها خمسة أفراد. ثم أخذ ينشر بينهم الدعوة الى الثورة ضد العبودية وضد الأجانب الكفار يهودا كانوا ام بريطانيين، وبعد حوادث عام ١٩٣٣ بدأ يجمع التبرعات لابتياع كميات صغيرة من الأسلحة، استعدادا للقيام بثورة ضد الحكومة التي اعتبرها الحامية الحقيقية للصهيونية في فلسطين. وحافظ القسام في اتصالاته واعداداته على السرية التامة. وكان معقل القسام هو الحي القديم من حيفا حيث يقطن فقراء الفلاحين الذين نزحوا من قراهم الى مدنهم وأضطروا ان يعيشوا في مستوى منخفض وأبدى القسام اهتماماً حقيقيا أصيلا بتحسين أحوال معيشتهم وبدأ يكافح الأمية في صفوفهم من خلال إعطاء دروس ليلية.

وسرعان ما أصبح فلاحو المنطقة الشمالية يكنون له ابلغ الاحترام والمودة بفضل زياراته



الشيخ الشهيد عز الدين القسام

المتكررة لهم وما يتسم به من أصالة في الخلق والتقوى.

وبحلول عام ١٩٣٥ كان القسام قد نظم خمس لجان لتحقيق الأهداف التالية: الدعوة، الدعاية، التدريب العسكري — التموين — الاستخبارات، العلاقات الخارجية.

وفي سنة ١٩٣٥ بدأت الثورة المسلحة لعز الدين القسام ضد البريطانيين واليهود.

غادر القسام يرافقه ٢٥ رجلا من أنصاره المسلمين في حيفا في الثامن عشر من تشرين الثاني قاصداً الى ضواحي جنين لدعوة الفلاحين في تلك المناطق لحمل السلاح في وجه البريطانيين والصهاينة ولكنهم قبل ان يتمكنوا من تعميم دعوتهم ومفاجأة السلطات باحتلال حيفا. وقع صدام عرضي بينهم وبين البوليس نبه السلطات الى وجود عصابة مسلحة وسارعت قوات الجيش والبوليس الى ضرب نطاق حول المنطقة وعزلها.

بيد أن القسام، مدفوعاً بايمانه وحماسته وأخلاصه رفض الاستسلام وحث اتباعه على القتال والاستشهاد وفي سبيل الله. وفي التاسع عشر من تشرين الثاني خاض المجاهدون معركة مواجهة مع القوات البريطانية في غابة «يعبد» بمنطقة جنين استشهد فيها القسام واثنان من اتباعه وأسر خمسة آخرون وأختفى الباقون في الجبال.

تحليل لحركة عز الدين القسام:

لقد عكست حركة عز الدين القسام الطرح الصحيح للنضال ضد الغزو الصهيوني. أن الحركة قد أدركت بوعي فذ طبيعة الكيان الصهيوني — وطبيعة الظرف التاريخي وطبيعة حركة التاريخ التي تعني وقتها تفاؤل التاريخ رغم يأس المرحلة.

الشيخ عز الدين القسام طرح الأسلام كطريق وحيد قادر على المواجهة بسبب كونه عقيدة الجماهير وبسبب طبيعة التحدي وهكذا فإن الشيخ الذي كان يتمسك بالخلق والتقوى كان يفيض في الحديث عن الجهاد ضد الكفار.

أن الشيخ عز الدين وعى بشكل فذ طبيعة الأرتباط بين اليهود بأعتبارهم ظاهرة إستعمارية عنصرية وبين الأنجليز باعتبارهم ظاهرة استعمارية وهكذا فقد طرح الجهاد ضد الكفار من يهود وأنجليز.

أدرك الشيخ عز الدين بوعيه الأسلامي طبيعة الصراع وأن الكفاح المسلح هو الحل الوحيد فقام ببناء تنظيم سري عسكري وجمع المال وأقتنى السلاح.

أدرك الشيخ ظاهرة هامة جداً في طريق العمل وهي أن المنوط بالتحرير والكفاح المسلح هم المستضعفين من المسلمين، فتوجه اليهم وعاش بينهم وشكل تنظيم منهم. أما الأسر الأقطاعية فقد كان يدرك عدم جدواها وعدم قدرتها على الكفاح المسلح. لقد طرح عز الدين القسام أخطر شعار وهو المسلمون المستضعفون على طريق الكفاح المسلح.

ادرك الشيخ عز الدين القسام أهمية العلم في مواجهة اليهود والأنجليز وأستسلام الزعماء فقام بتعليم أتباعه وجماهيره وذلك ليلا في المساجد.

أدرك الشيخ ضرورة النضال السياسي كجناح آخر للتنظيم والعمل الجماهيري فقام به بنفسه عن طريق الشارع والمسجد كما الف لجنة للدعاية والدعوة وهكذا فإن الشيخ قد طرح برنامجاً متكاملاً وفذاً في مواجهة الغزوة الصهيونية ولكن طبيعة السقوط الاسلامي في العالم وقتها كان أقوى من أن يواجهه الشيخ فما كان منه الا ان قرر الاستشهاد وعلى النمط الحسيني ليحفر بدمه في ذاكرة الأمة الأسلوب الصحيح لمواجهة الكيان الصهيوني، وليفجر رافداً من الوعي والثورة يمكن أن يستمر بعدها.

ثورة ١٩٣٦

لقد فجر النهج الحسيني الذي اختاره القسام وعياً هائلاً لدى الجماهير المسلمة وحسم المسألة وحددها في خط الكفاح المسلح ضد اليهود والأنجليز معاً ولقد حاولت السلطة البريطانية أمتصاص ذلك الوعي ومحاولة تشتيت الجماهير فطرحت قيام مجلس تشريعي وتشكيل وفد مفاوضات.

ولكن الجماهير ما لبثت أن أمسكت بالسلاح وسارت على خط القسام وبدأت الأصطدامات اليومية مع اليهود ولقد ظهر في تلك اللحظة فرحان السعدى، أحد أعوان القسام، وقتل ٣ يهود كاشارة لاندلاع حرب العصابات ضد اليهود والانجليز.

وفي ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦ حدث قتال بين العرب واليهود أدى الى قتل ١٢ يهودياً وجرح ٦٥ منهم. وعمت الأضرابات (القدس – الخليل – حيفا) ومن حيفا بدأت الدعوة للأضراب العام.

لقد أستمر هذا الأضراب الرائع من ابريل حتى اكتوبر (ستة اشهر) كما أستمر



فوزى القـاوقجى

الجهاد المسلح في كل مكان فألقيت القنابل وأطلق الرصاص وأشتعلت الحرائق.

وهكذا نشهد ثورة من أعظم الثورات الجماهيرية في فلسطين كفاح مسلح أضراب – أمتناع عن دفع الضرائب – مهاجمة معسكرات الجيش البريطاني والأستيلاء على البنادق والذخيرة.

وفي ١٢ يونيو ١٩٣٦ نشبت معركة ضخمة بين القوات الأنجليزية وبين الثوار المسلمين. اشتركت فيها الدبابات والطائرات.

وهكذا فإن الجماهير كانت قد أصبحت على وشك الأطاحة بالأستعمار الأنجليزي واليهود معاً. وأصبحت الجماهير تملك الوعي والسلاح والمنظمات الثورية ولكن وكالعادة يقوم الزعماء بدورهم التقليدي في أضاعة مكاسب الجماهير والتآمر عليهم.

في اكتوبر سنة ١٩٣٦ أذيع نداء بتوقيع كل من عبد العزيز آل سعود والملك غازي ملك العراق ملك العراق والأمير عبدالله أمير شرق الأردن على النحو التالي:

القدس – بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا الى ابنائنا عرب فلسطين

لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالأتفاق مع أخواننا ملوك العرب والأمير عبدالله. ندعوكم للاخلاد الى السكينة حقناً للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم.

وفي الوقت الذي بلغت فيه الثورة مدى رائعاً حتى أن صحف لندن ذاتها قالت «لقد بهر عرب فلسطين أنظار العالم اجمع بما قاموا به من أعمال عسكرية تدل على بالغ البطولة والمهارة في القتال».

وقال وزير المستعمرات «إن فلسطين أسوأ بلد في العالم وأن أهلها يعبرون عن الثورة التي

لا يمكن قمعها».

وأستمر خط القسام وتمكن المناضلون من قتل أندروز حاكم لواء الجليل ومساعده.

وأستمر خط التفاوض والخيانة من الزعماء والملوك العرب.

مرحلة حرب ١٩٤٨

أستمر خط الجماهير المسلمة في تصاعده التاريخي الرائع برغم يأس المرحلة ومهادنة الأحزاب والوجهاء والزعماء وأستمر التآمر الأستعماري على قدم وساق ولقد تمثل التكتيك الشيطاني في تلك المرحلة في:

أستمرار تسليح اليهود متمثلاً في مساعدات من الدول الأستعمارية وتواطؤ بريطاني يتم بموجبه تسليم عدد هائل من الأسلحة الموجودة في مخازن الحامية البريطانية في فلسطين الى اليهود عن طريق تمثيلية محبوكة تسمى سرقة الأسلحة من المخازن البريطانية.

– أضعاف جبهة الجماهير المسلمة ونزع تسليحها ووضعها في أصعب ظروف للعمل.

– دفع الظروف في المنطقة بحيث يكون الجميع في حالة شلل تام ماعدا القوى الصهيونية.

ولقد بلغت المأساة ذروتها عندما صدر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بأغلبية الأصوات في ١٩٤٧/١١/٢٩ بشأن تقسيم فلسطين.

وبرغم انكشاف الوجه السافر لبريطانيا وأمريكا كقوى أستعمارية معادية للأمة الاسلامية إلا أن الزعماء والوجهاء كانوا يطرحون سياسة أقناع بريطانيا وأستجداء العطف الدولي والهاء الجماهير المسلمة ومنعها من أداء دورها في الوقت الذي تقوم فيه القوى الصهيونية بأحتلال مدينة بعد مدينة وموقع بعد موقع.

الجماهير المسلمة ترد:

أما الجماهير المسلمة – والوحيدة عملياً في المعركة وبرغم كل ظروف اليأس والتآمر فما زالت تملك حيوية مذهلة فقامت من طرفها بالرد كالتالي:

– في ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ قام المجاهدون بنسف خط أنابيب المياه بين رأس العين والقدس.

– في ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧ الجماهير المسلمة تقاتل اليهود في القدس.

– ١٢ يناير ١٩٤٨ مجاهد عربي يدخل مركز البوليس البريطاني بسيارة ملغومة مما أدى الى نسفه.

– ١ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف بناية (البالستاين بوست) اليهودية وبنايتان اخريان مجاورتان لها في شارع هاسوليل بالقدس وذلك بسيارة لوري ملغومة.

– ٢٢ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف شارع بن يهوذا بثلاث سيارات كبيرة تحمل كلا منها طناً من المفرقعات.

– ١٢ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف حي المونتيفوري بالقدس.

– ١١ مارس ١٩٤٨ يتم نسف مبنى الوكالة اليهودية.

– ٢٣ مارس ١٩٤٨ نسف باد، الخليل.

القوى الصهيونية تتحرك لاستكمال



الشهيد عبد القادر الحسيني

احتلال المواقع والمدن الهامة والجماهير المسلمة المضروبة من الأرهاب الصهيوني وتواطؤ الأستعمار وخيانة الزعماء تقف وحدها بصلابة، ضاربة بذلك العديد من الأمثلة.

معركة القسطل: وللقسطل أهمية عسكرية كبيرة في الدفاع عن القدس وسوف نسرد تلك الحادثة كنموذج يدلل على صحة تحليلنا.

يذهب الشهيد عبد القادر الحسيني الى اللجنة العسكرية العليا برئاسة أسماعيل صفوت باشا، ويطلب أسلحا وذخائر للدفاع عن القسطل. فيقول له الباشا شوف عبد القادر. ماكو مدافع (ماكو تعني باللهجة العراقية لا يوجد).

ويقول له الشرياني وزير الدفاع السوري «إذا أحتل اليهود القدس فسنأتي ونخرجهم منها أو نقتلهم فيها».

عندئذ تميز عبد القادر من الغيظ ورمى بالخريطة في وجه الباشا والوزير وقال بصوت سمعه الحاضرون «أنتم خائنون ومجرمون وسيسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين – سأحتل القسطل وسأموت انا وجميع أخواني المجاهدين.

وعاد عبد القادر الى القسطل وأستشهد فيها في أبريل ١٩٤٨ بعد معركة خالدة استمرت ٦ ايام

هل هذا يحتاج الى تعليق!!

معركة يافا:

ولقد دخلت جماهير يافا المعركة في جو غير متكافئ بشكل درامي تماماً فلا أسلحة ولا مؤن وتواطؤ انجليزي. وسكوت عربي ومع ذلك تسطر تلك المدينة البطلة ملحمة رائعة من ملاحم البطولة ولنأخذ كلام بيجين نفسه وهو العدو الأكبر لنا دليلاً على ذلك فبيجن يدرك أهمية يافا الاستراتيجية فهي مسدس محشو بالرصاص مصوب الى تل ابيب وأن نجاحهم فيها يعني أنتصارهم واندحارهم فيها هي بمثابة الهزيمة الكاملة للصهيونية.

– أصبنا بخسائر فادحة والمقاومة مذهلة.

– رغم تتابع موجات هجومنا فإن عنق الزجاجة لم يُخترق.

– غيرنا تكتيكنا مراراً دون جدوى.
– أما أخضاع يافا أو تحطيم تل أبيب.
– ياالهي لقد علمتنا بطولة يافا اكثر مما تعلمناه خلال الحرب العالمية الثانية.
– سقط منا القتلى بالعشرات.
– لولا تدخل الانجليز لكان الوضع مروعاً.

هذا وقد استمرت معركة يافا من أوائل ديسمبر ١٩٤٧ حتى ١٤ مايو ١٩٤٨ وعلى لسان الشهيد حسن سلام أن بعض المسلمين اليوغسلاف شاركوا في الدفاع عن يافا!!

معركة حيفا:

وأيضاً تدخل الجماهير المسلمة معركة حيفا منفردة فقد قام الأنجليز بتسليم اليهود معسكراتهم ومواقعهم كما قاموا بمنع أقامة مراكز حصينة داخل المدينة. وكان السلاح لا يصل الى حيفا. فلم يصل سوى ٩٠ بندقية فقط من ٦٠٠ بندقية أرسلت اليها. سرق الباقي؟ (من تقرير طه باشا الهاشمي عن حالة السلاح في حيفا).

وقد قام الانجليز بسحب السريتين الأردنيتين رقم ٢، ٤ واللتان كانتا ترابطان في حي (النبي شعنان) وبيت كاليم مما كشف الحي الشرقي العربي. تم الانسحاب الانجليزي المفاجئ من حيفا في ٢٣ أبريل ١٩٤٨.

ومع كل هذا خاضت الجماهير المسلمة معركة أسطورية في الدفاع عن المدينة، وخضبت أرضها بالدم الذكي، لولا ان قام الزعماء بمطالبة أهلها بأخلائها لتأتي الجيوش العربية لتحررها!! وهكذا سقطت المدينة.

أعلان قيام أسرائيل: وفي يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ يعلن بن جوريون قيام اسرائيل.

* ملاحظة: قام بن جوريون بأعلان الدولة يوم ١٤ مايو ولم ينتظر الى يوم ١٥ مايو لأنه كان يوم سبت.

– وبريطانيا تعلن انهاء انتدابها في ١٥ مايو ١٩٤٨.

حرب ١٩٤٨

وهكذا تدخل الجيوش العربية حرب ١٩٤٨ والوضع كالآتي:

– تمهيد كامل من قبل بريطانيا لليهود بمعنى اعطائهم كل المدافع بتنسيق كامل في المواقف وتسليم الأسلحة لهم.
– جماهير مسلمة منهكة ولكنها قادرة على العمل ولا يقف معها أحد.
– أرهاب صهيوني لمحاولة كسر صمود الجماهير (مذابح دير ياسين كفر قاسم – قبية).
– عروش وأنظمة عربية تترنح تحت ضغط الجماهير في خارج الأرض المحتلة تطالبهم بالعمل لأنقاذ فلسطين.

وقد دخلت الجيوش العربية المعركة وفي نية الأنظمة عدم القتال فلم تعد له عدة. لا أعداد نفسي ولا تعبوي. المشاركة بقوات رمزية. مجموع الجيوش العربية لا يصل الى قوة العدة العددية.

وقد أرتكبت هذه الجيوش خطأ يصل إلى حد الخيانة: فقد طالبت الشعب الفلسطيني بأخلاء مدنه لكي تأتي هي لتحررها. بل إن عمليات الترحيل ذاتها شارك فيها الفيلق العربي والقوات الأردنية.

وكان الجيش الأردني تحت قيادة جلوب باشا الانجليزي، الذي أعطى اوامره بالدفاع

فقط وقام الملك عبدالله بأيعاز من جلوب بطلب الصلح مع اليهود بزعم أنهم أقوياء وانظر كتاب حرب ١٩٤٨ (الصراع السياسي) العميد محمد فايز القصري دار المعرفة).

وقد أصدر جلوب أمراً للجيش الأردني يوم ١٤ يوليه ١٩٤٨ بأيقاف جميع العمليات الهجومية والتزام موقف الدفاع مع عدم البدء بأطلاق الرصاص إلا إذا هوجموا.

ومع كل هذا التيه فإن الجيوش العربية كافراد هم جزء من الأمة قد حققوا انتصارات باهرة وبطولات فذة أضاعها الساسة والتردد ومناورات جلوب وغيره وخيانة الملك عبدالله.

– معركة القبة ٨٦ مفخرة للجندي المصري المسلم
– الصمود في الفالوجا
– عمليات البطل الشهيد احمد عبد العزيز الذي لقب بين رجاله باسم النمر والذي أمكنه أن يشق طريقاً حتى بيت لحم برغم بساطة معداته. وخيانات جلوب المتكررة.

كما ينبغي هنا ان ننوه بالبطولات الرائعة التي قدمتها جماهير المسلمين في خارج الأرض المحتلة وتدافعها الى التطوع وقيام الأنظمة بمنعها كما ينبغي الأشارة الى قيام حركة الأخوان المسلمين وخصوصاً في كل من مصر وسوريا بالتطوع والقتال ونسف المواقع اليهودية في خارج وداخل الأرض المحتلة ولكن ضاعت كل هذه الجهود بسبب الأنظمة العربية.

ولكن النهاية كانت واضحة منذ بداية الحرب، ففي جوهر الأمر كانت حرب ١٩٤٨م بين طرفين أصيلين: الجماهير المسلمة وبضعة عشرات من الفدائيين المسلمين والجنود في جانب فيما كل القوى الإمبريالية والعدو الصهيوني الكافر والأنظمة العربية في جانب آخر.

مرحلة ما بعد ١٩٤٨

كانت الأمة حبلى بالغضب والثورة. فكل الأقنعة قد سقطت افلست الانظمة العربية وحكوماتها وأنحازت للكيان الصهيوني. الجماهير باتت تدرك حظها الصحيح وأعداءها. باتت الجماهير تدرك الأرتباط بين الأستعمار – الصهيونية – الأنظمة العربية.

الجيوش العربية نفسها أحست بالمهانة. وعت تلك الجيوش بما أنها جزء من الأمة أن الأنظمة استعملتها لغير صالح أمتها وجماهير المسلمين ذاتها استوعبت المحنة كاملة.

وبدأ المد الجماهيري واسعاً وقوياً فقد كانت النكبة هزة أيقظت الوعي والتاريخ في وجدان الجماهير.

بدأ المد الجماهيري يأخذ طريقة في كل مكان وكانت النتيجة المتوقعة هي قيام أنظمة جماهيرية أسلامية. ومواجهة صحيحة للغزوة الصهيونية الأستعمارية. ولنأخذ مصر كمثال:

بعد حرب ١٩٤٨ بدأ النظام المصري (نظام الملك فاروق) يترنح تحت ضربات الجماهير الواسعة. الجماهير تطالب بالحرية والعدالة الأجتماعية وبمقاومة الاستعمار والصهيونية، أضرابات يومية من العمال – تململ في الجيش – أنتفاضات فلاحية ضد الأقطاع وتهدئتها. ولم ينجح الوفد في ذلك.

وفي كل مكان كان الوضع شبيه بوضع مصر، الجماهير في حالة مد مستمر، وعلى الجانب الآخر، التى الشيطانية تدرك خطر الجماهير. وتدرك أن اسرائيل في حاجة ماسة الى فترة تستكمل فيها بناء مؤسساتها العسكرية والأقتصادية.

وتحركت القوى الشيطانية وتمثل تحركها في:

– عزل الجماهير المسلمة بأي ثمن وأخراجها من الصراع.

– سحب تراكم الوعي لديها.

وهكذا فإن القوى الشيطانية بدأت تتحرك على عدة محاور.

– أقامة أنظمة بديلة للأنظمة التي لم تعد قادرة على لجم حركة الجماهير قبل فوات الأوان.

– أن ترفع هذه الأنظمة شعارات أصلاحية وتحقق أصلاحات محددة بشرط واحد هو أن تقوم بتسريح الجماهير. ونزع فتيل الوعي من وجدانها وتفريغ الشارع منها.

– عملية غسيل مخ مستمر للجماهير المسلمة وتزييف طبيعة الصراع بينها وبين الأستعمار والصهيونية.

– ضرب شامل لكل طلائع الحركة الأسلامية وتصفية كاملة للفكر الاسلامي.

ولقد تم ذلك عبر:

– قيام النظام الناصري في مصر الذي يصادر الحريـــــات. ويسرح الجماهير ويضرب الأسلاميين. ويحقق أصلاحات شكلية تسمح بتضليل الجماهير. ويصبح عبد الناصر الزعيم الوحيد. المحارب الوحيد المصلح الوحيد – عدو اليهود الوحيد.. الخ كما يقوم برفع شعارات اشتراكية لمزيد من التضليل وأفتعال معارك تزيد من قيمته كزعيم بشرط عدم مشاركة الجماهير في شئ.

– قيام سلسلة من الأنقلابات العسكرية في المنطقة. مثل سوريا مثلاً مع رفع نفس الشعارات ونفس التكتيك الذي تم في مصر مثل تجربة البعث مثلاً وكذلك في العراق.

– منع قيام نظام جماهيري في الأرض التي لم تُحتل من فلسطين فيقوم ملك الأردن الخائن بضم الضفة الغربية ويقوم النظام المصري بضم غزة.

والهدف النهائي هو قيام حاجز بين الجماهير المسلمة وبين عدوها التاريخي اسرائيل وعدم اعطائها اي فرصة للأحتكاك والتماس مع الكيان الصهيوني.

– أحتواء اي تحرك أيجابي للشعب الفلسطيني في أقامة منظمات جماهيرية للتصدي للكيان الصهيوني بمعنى ألا تخرج تلك المنظمات عن منعطف الأنظمة السابق بيان تركيبتها وجوهرها وتوجهاتها.

وهكذا وبالأسلوب الشيطاني الماكر وعبر عدة تكتيكات بالغة التعقيد أستطاعت القوى الشيطانية أن تمنع الأنفجار الأيجابي في المنطقة وتسحب ما تراكم من وعي ومن غضب ومن أدراك لدى الجماهير بعد نكبة ١٩٤٨ وأستمرت المنطقة هكذا في سلسلة مستمرة من الأنفجارات الصغيرة الموجهة من قبل القوى الشيطانية لامتصاص وتفريغ حركة الجماهير المسلمة من مضمونها.

حرب ١٩٥٦ واختلاف الاسلوب الاستعماري

قررت القوى الشيطانية (الاستعمار والصهيونية) أن الجماهير في المنطقة قد حُذرت بما يكفي وأن ما أختزنته من غضب ووعي بعد نكبة ١٩٤٨ قد تبدد وأن الوضع في المنطقة يسمح بمزيد من التوسع لليهود. ويسمح بعودة الحكم الأستعماري المباشر لها.

وهكذا قام وزير الخارجية الأمريكي دالاس بسحب عرض بناء السد العالي مما دفع بالنظام الناصري إلى تأميم القناة. وعلى أثرها قام الأستعمار الأنجليزي والفرنسي واليهودي بالأعتداء الغاشم على مصر.

الا أن الأستعمار فوجئ بأن الجماهير لم تفقد بعد فاعليتها وأنها عملاق لم ينم بعد وأنها سوف تستيقظ لتطيح بالاستعمار وبالنظام الناصري والأستبداد وستشكل خطراً كاسحاً للمصالح الاستعمارية والصهيونية في المنطقة.

فلقد أصطدم الغزو الأستعماري لبورسعيد مثلا بمقاومة شعبية صلبة بكافة الأشكال البسيطة والرائعة.

كما قام فدائيون من قطاع غزة بعمل رائع فدائي استشهادي إضافة إلى الحركة الجماهيرية العامة في القطاع.

وقد وجدت الجماهير في المنطقة فرصة لمواجهة أعدائها في كل مكان فقام العمال بنسف أنابيب البترول التي تغذي الحضارة الغربية، وبدا أن الجماهير المسلمة في حالة زحف وتقدم.

وبدا واضحاً أن ما قام به النظام الناصري من تصفيات لجماعة الأخوان المسلمين في ١٩٥٤ ليس كافياً، فمازالت الجذوة الأسلامية تستعر تحت التراب ويمكن أن تخرج منها نار عملاقة تحرق كل القوى الأستعمارية في طريقها فلقد طالب شباب الأخوان المسلمين الموجود في السجن وقتها بالسماح لهم بالتوجه الى مناطق القتال للمشاركة في حرب الشعب ضد الاستعمار. ولقد وقع على هذا الطلب معظم الاخوان في السجون ولقد قام بتقديم هذا الطلب مجموعة من شباب الاخوان لمأمور سجن ليمان طره وكان يقود تلك الحملة الشهيد احمد حامد قرقر ومجموعة معه.

وفيما بعد نالت تلك المجموعة جزائها فيما عرف بمذبحة طره في ١٩٥٧/٦/١ فقد قام النظام بمذبحة تم فيها أطلاق الرصاص على تلك المجموعة بدون محاكمات ولا مبرر وقد أستشهد في تلك المذبحة الشهيد احمد حامد قرقر ومعه اكثر من ٢٠ شهيد من أخوانه وجـرح حوالي ١٨٠ من جـراء أطلاق الرصاص.

الجيش المصري بما أنه جزء من الأمة قد أبلى بلاء حسناً ودفع رجاله الأبرار تضحيات باهظة وحققوا معجزات قتالية برغم اوامر القيادة بالانسحاب من سيناءوعدم السماح له بالدخول في المعركة مع اليهود – دائماً المعارك يتم فيها منع الجيش من أداء دوره في كل المعـارك مـع اليهود. ١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٥٦..

ومعنى التحام الجيش والشعب، والجماهير خارج مصر في معركة مع الأستعمار أن مصالح

الأستعمار والأنظمة في خطر، فلابد من أحتواء ذلك،

فكيف تم الأحتواء؟

– أدركت القوى الأستعمارية أن أمامها مزيد من الوقت لكي يتم فيه القضاء على وعي الجماهير وأخراجهم من المعركة وأن المعركة قد بدأت قبل أوانها، وأن خطر الجماهير مازال عظيما فكان الآتي:

١ – تضغط أمريكا على أنجلترا وفرنسا وأسرائيل وتطالبهم بالأنسحاب على هيئة قرار من الأمم المتحدة.

«وهل احترقت تلك الدول يوماً قرار للأمم المتحدة في ١٩٤٨ وما بعدها وفي ٦٧ مثلاً. بل أن أمريكا ذاتها كانت تدفعهم لعدم أحترام القرارات فلماذا في هذه المرة يحترمونها وتضغط عليهم أمريكا؟!!

٢ – تنسحب تلك الدول، مع ضجة أعلامية ضخمة تلقي ظلالاً وغيوماً على أهمية حركة الجماهير، بحيث:

أ – يُغرى الانتصار الى ذكاء القيادة السياسية.

ب – يدفع الجماهير في الوقوع في خطأ قيمة الأمم المتحدة والرأي العام العالمي بحيث يمكن طرح تلك القوى السلمية كبديل للكفاح المسلح.

ج – تجميل وجه أمريكا، وجعلها في نظر البعض تعمل لصالح الأمم والشعوب الصغيرة.

د – يتم سحق كل حركة جماهيرية أسلامية في المنطقة. وبما أن النظام الناصري قد أنتصر ولو كذباً فإنه بإمكانه الآن ممارسة قمعه بلا حدود.

ولقد نجح ذلك التكتيك الأستعماري الشيطاني المعقد اي نجاح فلقد:

قام عبد الناصر بطرح نفسه على الساحة كمنقذ وكبطل قوي لا يُشق له غبار وأن الضمان الوحيد في مواجهة الاستعمار هو شخصية البطل وليس الجماهير وأن على الجماهير الآن أن تذهب لبيوتها وسيقوم عبد الناصر بكل المهمة.

ولقد قام الإعلام الناصري بجهد هائل ليصنع من عبد الناصر سوبر زعيم. وأذكر في ذلك الأطار قيام الأساطير حول شخصية عبد الناصر والتي غذتها أجهزة أعلامه وانتشرت بين الشعب المصري وبخاصة الأطفال (الجيل القادم) عن أن عبد الناصر يستطيع مثلاً أن يعبر البحر ماشياً. أو أن يهدم جداراً مثلاً بقبضته الخ.. وعلى المستوى الآخر، قدم ناصر كزعيم قادر – وحده – على هزيمة كل الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة.

وقد قام النظام الناصري بضرب أسس الفكري الأسلامي ومحاولة استئصال كل أثر للأسلام في حياة الناس ومطاردة كل متدين حتى ولو كان غير سياسي، حتى أن الناس خافت ان تذهب الى الصلاة في المساجد، وبالتالي فهو يفقد الجماهير درعها المتمثل في الاسلام..

كما قام بالعديد من المذابح وأعتقال وشنق أعضاء الجماعات الاسلامية كالشهيد سيد قطب مثلاً واعتقال ٣٠ الف في ليلة واحدة



الشيخ المرحوم الحاج امين الحسيني

سنة ١٩٦٥.

وقد عمل على تزييف طبيعة الصراع وازاحة المقولات الحقيقية من الساحة [أسلامية – حرب تحرير شعبية] وتكييف الصراع وفق مقولات خاطئة لا يفهمها الناس ولا يشاركون فيها «لاحظ أن عبد الناصر كان يخطب في الناس فينبهرون ولا يفهمون».

وقد طرح عبد الناصر الثورة العربية بدلاً من الأسلامية، والاشتراكية بدلاً عن بناء مجتمع اسلامي. وهكذا فقد افقد الجماهير والجيوش العربية كل حوافزها للقتال ودمر كل دروعها وأسقط كل وعيها. تمهيداً لحرب ١٩٦٧.

كما خفق وضرب كل توجه جماهيري حقيقي نحو مواجهة اسرائيل عبر:

أ – منع أي عمل فدائي موجه ضد اسرائيل من غزة.

ب – مطاردة كل من يحاول تعرية وكشف حقيقة الصراع في المنطقة.

ج – تجهيل متعمد بطبيعة الكيان الصهيوني – وجعله شيئاً غامضاً تماماً. برغم ان معرفة العدو واجب أسلامي. فضلاً عن أنه شيئ بديهي. فكيف تواجه عدوا لا تعرفه.

د – محاولة احتواء أي تحرك فلسطيني وجعل حركة الفلسطينيين من داخل منعطف الأنظمة العربية.

وبرغم كل ما سبق، وبما أن حيوية الأمة غير قابلة للموت أو الدمار فانه كان لابد وبرغم كل اليأس والضباب من ظهور تيار يستمد من أسلاميته أصالة ويقاوم وهذا التيار لم يغب لحظة.

فقد حاول بعض المناضلين القدامى من أمثال محمد عزه دروزة مثلاً بتنبيه الرئيس عبد الناصر وشكري القوتلي وغيرهم الى أهمية وجود عمل فدائي يكون نواة حرب تحرير شعبية. ولكن دون جدوى (أنظر مذكرات محمد عزه دروزه).

أيضاً محاولة الحاج امين الحسيني أقامة كيان عسكري فدائي بالتفاهم مع الأنظمة المصرية والسورية والعراقية ولكن محاولاته ذهبت هباءاً لأن تلك الأنظمة لا تريد ذلك.

ونحن لسنا بصدد مناقشة خطأ الحاج أمين أو محمد عزه دروزه في التوجه الى الزعماء ولمحاولة أبراز العمل الفدائي. فالعمل الفدائي يُنتزع ولا يُطلب ولكننا نسرد هذا للتدليل على عدم رغبة الانظمة في ذلك بل ضربها لأي عمل في هذا الاتجاه.

ومع بداية الستينات تحرك النظام الناصري والأنظمة الأخرى باستعمال احمد الشقيري في محاولة لاحتواء حركة الجماهير الفلسطينية ورغبتها في العمل الفدائي. وقد قام السيد

احمد الشقيري بذلك خير قيام. فكان مع كل حدث في المنطقة يكتفي بالقاء بيانات ملتهبة من الأذاعة. بل أن تلك الأنظمة قامت بمحاولة خنق وأحتواء حركة فتح والعاصفة حينما ظهرت الى الوجود من رحم الأمة المسلمة وبشعارات الأسلامية ومارست الخط الصحيح سنة ١٩٦٥.

وسنورد هنا بعض الفقرات التي قالها احمد الشقيري للاستاذ محمد عزه دروزه حين زاره في منزله في ١٩٦٥/١٢/١٢ والوارده بكتاب الأستاد محمد عزه دروزه ص١٦٣ وذلك في معرض رده على اقتراح الاستاذ دروزه بضرورة العمل الفدائي:

«ثم حدثته في مآل الرسالة فاكد لي أن مسألة حركة تحرير فعلية هي الآن شغله الشاغل وهو مؤمن بها كل الأيمان. وأن كل همه ان يجد المكان المناسب والجو المناسب — وأنها لا تلقى تشجيعاً ولا ترحيباً في الأردن ولبنان والعراق وأن الرئيس جمال متردد فيها..

وحينما اقترحت عليه والكلام مازال للأستاذ دروزه، أن يتصل بمنظمة فتح وعاصفتها وأن يدعمها قال الشقيري: «إن الرئيس عبد الناصر يرتاب في أن يكون جماعة فتح من الأخوان المسلمين» !!

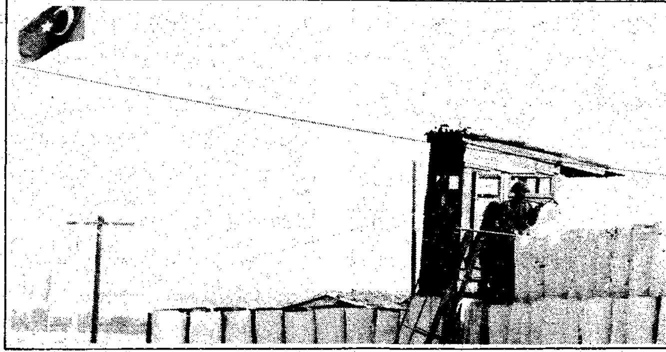
وفي لقاء آخر بتاريخ ٦٦/١٢/١٥ سأل الأستاذ دروزه عن سبب جمود قطاع غزه وسيناء وعدم قيام أي حركة فدائية تحريرية فيهما وقلت: «ان الناس يتساءلون كثيراً عن ذلك، والمغرضون يغمزون مصر وزعيمها بسبب هذا الجمود!!» فقال: «أنه سيرد عليه بعد وقت ولم يرد!!».

وبعد أقل من سبعة شهور كان عبد الناصر ينسحب من سيناء فيما العدو الصهيوني يمد سيطرته من نهر الاردن الى قناة السويس، وكان ذلك تاريخ لن ينسى يونيو ١٩٦٧م..

محمد. م — القاهرة

قبرص الاسلامية

صافي ناز كاظم



حين اجتاح جانكيز خان دولة خوارزم الاسلامية الكبرى، التي كانت تغطي معظم مساحة آسيا، مبيداً أهلها قتلا وذبحاً وحرقاً، كان يقتحم القرية و يسأل أهلها: «ما دينكم؟» فيقولون «الاسلام» فيسألهم: «وماذا يعني الاسلام؟» فيجيبونه «كذا وكذا وأوامره كذا وحلاله كذا وحرامه كذا» .. فكان جانكيز خان، الوثني الهمجي، يتلفت و يقول: «ولكني لا أجد في أحوالكم أمراً مطاعاً لربكم، فلا حلاله حلالكم ولا حرامه حرامكم، إذن فأنا نقمة ربكم عليكم وسيفه المسلط للاطاحة بأعناقكم عقاب عصيانكم!..».

وكانت كل قرية من تلك القرى، تسمع أخبار المذابح التي تحدث في القرية الملاصقة لها وتحكيها وتأسف لها، لكنها كانت لا تفعل أكثر من مصمصة الشفاه ثم تواصل حياتها اليومية العادية، تأكل وتشرب وتنام وتلهو حتى يأتي دورها في التهام جانكيز خان لها، فيفعل بها ما فعله تماماً بجارتهم السابقة، بينما القرية التي تليهم ولم يأت دورها بعد ساكنة ناظرة إليهم تماماً كما كانوا ينظرون، بحزن وسلبية ومواصلة بلهاء لميكانيكية الحياة العادية، يأكلون و يشربون و ينامون كالمخدرين حتى يأتي دورهم ليجوس جانكيز خان

خلال ديارهم إفساداً وذبحاً وإبادة ، ويلحقهم باخوانهم السابقين ، وهلم جرا .. إلى أن زهق جانكيز خان من جهد القتل والابادة بنفسه ، فقرر أن تتكفل كل قرية بقتل نفسها بنفسها ! .. فكان يدخل القرية ويستدعي سادتها وكبراءها وأعيانها ويطلب منهم ذبح أبناء قريتهم .. فيسارع هؤلاء السادة والكبراء بالاستجابة ويبادرون من فورهم بذبح أهل قريتهم بأيديهم مع التفنن في قسوة القتل حتى يحظون باعجاب جانكيز خان وتقديره ! .. متصورين أنهم بهذه الطاعة الفاسدة سوف ينجون من بطش جانكيز خان ، وقد يفوزون كذلك بعطية من عطاياه . ولكنهم ما يكادون يفرغون من عملهم الاجرامي البشع ويذهبون إلى جانكيز خان ليخبروه بانجازهم الأسود ، حتى يبتسم في رضاء ثم يأمر جنوده بالاجهاز على هؤلاء السادة والكبراء والأعيان ، الذين بقتلهم ذويهم اختصروا له مهمة القتل الشاقة إلى مجرد قتل عدوهم الضئيل ! .. وهكذا انتهت دولة خوارزم الكبرى .

(وعندما ينظر المسلم المعاصر إلى خريطة آخر دولة خلافة إسلامية وهي دولة الخلافة العثمانية ، سوف يرى كيف امتدت من مشارق الأرض إلى مغاربها ووصلت حتى مشارف النمسا شمالا وحتى أفريقيا جنوباً . وسوف يرى أنها نشأت في القرن الرابع عشر مؤيدة بجذوة الاسلام وامتدت مع رغبة قيادتها وهدف جنودها لنشر الاسلام وبسط حكمه في العالمين . وأنها لم تتآكل وتتضعضع إلا عندما بدأ التسيب في الالتزام بالعقيدة يدب في أوصال قادتها ، مع التهاون في تطبيق أحكامها ، وانطفاء جذوة الغيرة الاسلامية في قلوب جنودها حين وهنت الروح المتمسكة بالاسلام وتقوت الروح المتفاخرة بالجنس والأنساب ، والمعتزة بالقومية . فالروح التي فتحت خوارزم شرقاً .. والأندلس غرباً ، هي الروح التي فتحت القسطنطينية شمالا وأسمتها : إسلامبول « التي أصبحت بعد ذلك إستانبول أو الآستانة » .. والخنوع والتحلل والتفرق الذي أباد خوارزم وأذهب الأندلس ، هو ذاته الذي أصاب الدولة العثمانية بمرض الضعف أمام أعدائها الصليبيين اللئام المتربصين كالذئاب متعطشين للعق دمائها السائلة وقضم أطرافها ثم جسدها ثم ابتلاع رأسها حتى الفناء).

فالغرب الأوروبي الصليبي لم يغفر أبداً للعثمانيين أنهم زحفوا براية الاسلام ليرفعوها على القسطنطينية — (فتحها محمد الفاتح ٢٩/٥/١٤٥٢) . في الوقت الذي حسب الغرب الصليبي فيه أنه قد بدأ مشواره للانتهاء من الوجود الاسلامي في أوروبا بانهائه في أسبانيا : أندلس المسلمين — (سقوط غرناطه ثم إبادة

المسلمين نهائياً من الأندلس ١٦٠٩) . وعلى ذلك ومع عزل عبد الحميد الثاني في ١٩٠٩ الذي يعد الانتهاء الفعلي لقوة الخلافة حتى قبل إلغائها رسمياً عام ١٩٢٥ — وهزيمة الدولة العثمانية بعد دخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ، سنحت الفرصة للغرب الصليبي — متمثلا في إنجلترا وفرنسا ، أن يروي ظمأه القديم في شرب دماء المسلمين كما يحلو له ، فبعد أن عقدت هدنة مدروز في ٣١/١٠/١٩١٨ التي نصت على استسلام القوات العثمانية دون قيد أو شرط « .. وهو ما لم يحدث بالنسبة إلى أي من دول الوسط ، ألمانيا والنمسا وبلغاريا » وبدأت القوات العثمانية تلقي سلاحها واستعد الحلفاء لاحتلال الآستانة وغيرها من المدن الكبرى .. أصبحت الدولة العثمانية تحت رحمة الحلفاء المنتصرين ، وبدأت عمليات الاحتلال طبقاً للاتفاقيات التي عقدت أثناء الحرب ، فنزلت قوات الحلفاء كل الأماكن المخصصة لها . وقد وقعت الآستانة تحت الاحتلال المشترك للحلفاء تحت قيادة الأميرال « كالثورب » باعتباره مندوباً سامياً تعاونه لجنة ثلاثية تضم مندوباً عن كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا ، كما عين للاشراف على أعمال الوزارات العثمانية ، وسعت الأقليات الدينية — وبخاصة الأرمن — إلى استغلال الوضع الجديد لخدمة أغراضها ، فرحبت بالمنتصرين كلما دخلوا إحدى المدن (ومن أمثلة ذلك أن اليونانيين قدموا للقائد الفرنسي للقوات التي نزلت الآستانة .. جواداً أبيض امتطاه دون سرج وساربه مقلداً محمد الفاتح حين دخل المدينة في عام ١٤٥٣ يحييه جمهور غفير من غير الأتراك) . وحل مسيحيون محل الأتراك المسلمين في معظم الادارات المحلية والسكك الحديدية وغير ذلك من المرافق العامة ، وحين افتتحت المدارس لم يسمح بدخولها إلا لأبناء المسيحيين . وجرت مذابح كثيرة ، قتل أثناءها كثير من المسلمين الذين لم تفعل قوات الحلفاء شيئاً للدفاع عنهم .

في هذا الاطار وأمام هذه الخلفية تبرز للمسلم المعاصر خفايا القضية القبرصية والحق الاسلامي الضائع فيها والمتجاهل تماماً من قبل نظم الأقطار الاسلامية .. والغائب عن وعي عامة المسلمين للأسف الشديد . ولولا إعلان جمهورية قبرص الاسلامية عن قيامها بنفسها في ١٠ صفر ١٤٠٤ (١٥/١١/١٩٨٣) برئاسة رؤوف دنكتاش ، لما شعر أحد من المسلمين بأن في قبرص شعباً مسلماً على الاطلاق ، شعب قبرصي مسلم تأصل بها منذ دخلها الاسلام عام ٢٨ هـ — ٦٤٨ م . فلقد نجحت سياسة « سرقة لب الجماهير المسلمة » في أن تربط قبرص في الأذهان بالأسقف مكاريوس : هذا الكاهن الصليبي

الذي أضفت عليه الدعاية الناصرية صفات النضال والثورية .. ولو كان نضاله سعياً في ذبح المسلمين وثوريته عملا متواصلا في محو الاسلام من الجزيرة العربية ، وإعطائه البركات لمنظمة أيوكا الارهابية المتخصصة في ذبح المسلمين بالأسلوب النموذجي الذي طبقته اسرائيل على مسلمي دير ياسين ومسلمي صبرا وشاتيلا بالاشتراك مع الكتائبيين (طبعا في حالة حكم الكاهن مكاريوس لم يأت أحد من الناصريين والعلمانيين بسيرة رفض الحكم الثيوقراطي ـ حكم رجل الدين ـ فهذه السيرة لا تستجلب إلا عندما يكون المقصود فقط ضرب قيام الدولة الاسلامية ، رغم أن الثيوقراطية اصطلاح مسيحي ولا يدخل ضمن مفهومات الحكم الاسلامي !) .

حين ننظر إلى جزيرة قبرص على الخريطة ، سوف نجدها تقع في قلب المنعطف الأرضي الذي يضم السواحل الاسلامية لتركيا وسوريا ولبنان وفلسطين ، فهي لا تبعد عن ميناء اللاذقية السوري إلا بمسافة ٦٤ ميلا ، وتبعد عن الشط التركي بمسافة ٤٤ ميلا وتبعد عن الشط اليوناني بمسافة ٢٤٠ ميلا ! .. ومع ذلك فاليونانيون أو الروم ـ كما يسميهم مسلمو قبرص ـ يصرون على أن قبرص يونانية و ينادون بوحدتها وانضمامها إلى اليونان ! .. وبغض النظر عن أن قبرص كانت ضمن إطار الدولة العثمانية الموحدة تحت راية الاسلام ، فالواقع أنها لم تكن في يوم من الأيام يونانية خالصة كما يدعون حتى قبل دخول الاسلام إليها . فلقد أثبتت المراجع التاريخية بأن سكان جزيرة قبرص الأوائل هم من التجار القادمين من شبه جزيرة الأناضول ، وقد توالت عليها الادارات الحاكمة عبر التاريخ من أول الادارة الفرعونية ، ثم الحيثية ، ثم الأكدية ، الفينيقية ، فالأشورية ، فالفارسية ، فالقرطاجية ، فالرومانية ، فالبيزنطية حتى جاء نصر الله بالفتح الاسلامي ، في أول غزوة بحرية للمسلمين زمن الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، في عام ٢٨ هـ ـ ٦٤٨ م . وكانت أم حرام بنت ملحان ـ إحدى خالات النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وزوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما ـ أول شهيدة على أرض قبرص حين جاءت مجاهدة مع زوجها في حملة الفتح ، تلك الحملة التي شارك فيها أبو ذر الغفاري وأبو الدرداء وشداد بن أوس من صحابة الرسول تحت قيادة عبد الله بن قيس رضي الله عنهم أجمعين .

وخلال ست سنوات ـ ٣٤ هـ ـ ٦٥٤ م ـ سيطر المسلمون على كل أرجاء قبرص واستوطن بها اثنا عشر ألفا من جند المسلمين الذين كان هدفهم نشر الاسلام في الجزيرة و بناء المساجد لاشاعة الرحمة التي أمر بها

الله .

واستمر المسلمون خمسة قرون متواصلة هم أهل الجزيرة الغالبين ، حتى أدى ضعف الدولة العباسية إلى إثارة أطماع الصليبيين المتربصين لسلب الأرض التي أورثها الله عباده المسلمين ، والمتحينين لفرصة لا تواتيهم إلا عندما يلتهي المسلمون بأمور الدنيا و يغفلون عن أمر الله بحراسة ثغور أرض الاسلام حتى لا ترتد كافرة بعد الفتح . وهكذا تمكن ر يتشارد المسمى بـ « قلب الأسد » من غزو الجزيرة سنة ١١٩١ م والفتك بسكانها المسلمين واتخذها الصليبيون مقراً ومركزاً لهم بعد أن تم طردهم وإحباط غزواتهم على الشام ١٢٩٢ م واستغلت شواطيء الجزيرة من قبل قراصنة الصليبيين للاغارة على السفن الاسلامية .. إلا أن المقاومة الاسلامية لم تتوقف عن بذل المحاولات المتكررة لاستعادة قبرص حصنا للاسلام بعد أن تحولت إلى مغارة للصوص . وفعلا ، و بعد جهد متواصل من ١٤٢٤ حتى ١٤٢٦ م ، تمكن السلطان المملوكي برسباي من إعادة فتح قبرص للاسلام وأسر ملكها « جيمس لوزينيان » وأرسله إلى مصر مكبلا بالحديد .

ثم عادت الكرة للصليبيين بعد خمسين سنة فاحتل الفينيسيون الجزيرة و بقيت تحت استعمارهم حتى عاد الفتح الاسلامي الثالث للجزيرة على يد العثمانيين سنة ١٥٧١ م . فعادت قبرص بلاداً إسلامية وجزءاً لا يتجزأ من ديار الاسلام .

وحين بدأت الخلافة العثمانية تضعف بداية من القرن التاسع عشر ، أعلنت روسيا القيصرية الصليبية الحرب على الدولة العثمانية في عام ١٨٧٧ وفيما كانت تستعد لاحتلال مركز الخلافة ، تقدم الانجليز لانتهاز هذه الفرصة بادعاء تقديم المساعدة للعثمانيين ضد روسيا القيصرية ، ومقابل ذلك حصلت انجلترا على حق إدارة قبرص . وهكذا دخلت الصليبية مرة أخرى أرض قبرص مع الادارة الانجليزية عام ١٨٧٨ .

وكان من نصوص الاتفاق بين العثمانيين والانجليز أن تعود قبرص للادارة العثمانية بعد انسحاب الروس من الحدود الشرقية للدولة العثمانية . هذا الجزء من الاتفاق لم ينفذ بالطبع ، خاصة وأن دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى صف ألمانيا وانتهائها بتجريح هزيمة مرة ، كان قد أوجد الأسباب القوية لكي تأكل انجلترا اتفاقها وتعلن عام ١٩٢٣ و بشكل رسمي إلحاق قبرص بالامبراطورية البريطانية .

ومع هذه الادارة البريطانية الاستعمارية الصليبية كان السعي الحثيث العدواني لابادة المسلمين من جزيرتهم من أجل أن تستبقى قبرص أرضاً مسيحية خالصة للأقلية اليونانية

التي توهجت أحلامها لتضم قبرص إلى اليونان !

وتشير الاحصائيات المسجلة لتعداد السكان المسلمين في قبرص إلى أنه كان ١٥٠ ألف مسلم مقابل ٥٠ ألف مسيحي في عام ١٧٤٥ م ، ثم ٦٠ ألف مسلم مقابل ٢٠ ألف مسيحي عام ١٧٧٧ ثم تضاءل عدد المسلمين بشكل مذهل بفعل المذابح والتهجير والابعاد عقب انتقال الادارة إلى الصليبية الانجليزية التي احتضنت الأقلية اليونانية وشجعتها على دعوة المزيد من اليونانيين ليتحول ميزان التعداد السكاني الى صالحهم : وتمت اللعبة الصليبية التقليدية في الاخلال بميزان التعداد السكاني لتتحول الأغلبية إلى أقلية .. والأقلية إلى أغلبية — (ما رأي دعاة تحديد النسل الاسلامي في مصر المحروسة ؟) — وهكذا وصلت الصليبية إلى نتيجتها المرجوة بحيث أصبح التعداد القبرصي في سنة ١٩٧٤ ، ٥٠ ألف مسلم مقابل ٤٥٠ ألف مسيحي يوناني !

منذ ١٩٥٠ تبرز شخصية الأسقف مكاريوس بصفته معبراً عن الكنيسة الأرثوذكسية وعن التعداد المسيحي في الجزيرة الذي كان يسعى نحو تحقيق « الاندسيس » أي الوحدة مع اليونان ضد رغبة التعداد المسلم الذي كان ينادي بدولة قبرصية واحدة مستقلة تتساوى فيها حقوق المواطنين القبارصة بغض النظر عن الاختلاف الديني .

وكان القسم الذي أخذه مكاريوس على نفسه بعد انتخابه رئيساً للأساقفة هو : « .. أقسم أن أعمل على استقلالنا القومي وعلى ألا أنحرف إطلاقاً عن سياستنا في إلحاق قبرص ككل إلى الوطن الأم — اليونان — ! » .

ومن هذا الاختلاف الحاد في الهدف ، نشأ الصراع الذي لم يهدأ أبداً بين القبارصة المسلمين والقبارصة الصليبيين ، سواء تحت الاستعمار البريطاني أو بعد الاستقلال .

١٩٥٤ بدأ اليونانيون بتسريب معدات الحرب ورجال العصابات ، بقيادة عقيد معروف بأعماله اللا إنسانية ، وفقاً لاتفاق بين الأسقف مكاريوس والحكومة اليونانية ، ويضع مكاريوس جميع واردات الكنيسة تحت تصرف رجال العصابات تحقيقاً لعهده بأن يعمل على ضم قبرص إلى اليونان لتطمس تماماً ملامحها الاسلامية .

واعتبر مكاريوس كل مؤيد لاستقلال الجزيرة خائناً للقضية القومية . وعلى ذلك أعطى مكاريوس بركاته لمنظمة أيوكا (المسماه بمنظمة المقاومة القبرصية القومية) لتبدأ في عام ١٩٥٥ حملتها الارهابية لقتل كل من يخالف مبدأ الاتحاد مع اليونان من بين المسيحيين والمسلمين ، حتى أنها قتلت في الفترة ما بين ١٩٥٥ —

١٩٥٨ ما يزيد على ٤٠٠ مسيحي يوناني بتهمة خيانة مبدأ الاتحاد مع اليونان ، وأجبرت بنفس الوقت ٦ آلاف مسلم قبرصي على ترك ٣٣ قرية ، ودمرت جميع ممتلكاتهم العائدة لهم في هذه القرى ، وكان شعارها في تدريب أعضائها من الشباب المسيحي : « الموت للقبارصة المسلمين !» .

على الرغم من توقيع اتفاقيتي زيورخ ولندن عام ١٩٥٩ اللتين تنصان على منح مسلمي قبرص حق الاشتراك في إدارة أمور الدولة بنسبة ٣٠٪ ، إلا أن الأسقف مكاريوس يصر على تجاهل حقوق ورغبات المسلمين القبارصة ويصرح ، عند إعلانه رئيساً للجمهورية القبرصية سنة ١٩٦٠ ، بأن هدفه لا يزال هو السعي لالحاق قبرص باليونان وبأن نضال منظمة أيوكا المتخصصة في ذبح المسلمين — (كتائب لبنان) — لم ينته ، ويعين قادة هذه المنظمة الارهابية وزراء في الحكومة القبرصية !

الاستخبارات الأمريكية تدفع لمكاريوس مليون دولار سنوياً يخصصها لشراء الأسلحة لتدريب عناصر الأيوكا للاستعداد للانقضاض على المسلمين القبارصة الذين يمثلون عناصر مقاومة لخطة ضم قبرص إلى اليونان ، حماية لمستقبل العنصر الاسلامي بالجزيرة ، وفي ٢١/١٢/١٩٦٣ تبدأ قوات مكاريوس زحفها ضد مسلمي قبرص ، والأسقف يطلب منهم أن يحققوا النصر خلال ٢٤ ساعة ! .. ويسجل الصحفيان « رينيه ماك كول » و « دانييل كراجي » بعض نتائج هذا الهجوم بعد خمسة أيام من وقوعه قائلين : (ذهبنا هذا المساء إلى الجانب التركي — « المسلم » — المحاصر من نيقوسيا والذي قتل فيه خلال الأيام الخمسة الأخيرة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شخص ، وكنا أول صحفيين غربيين يدخلان هذا الجانب ، ورأينا هنا مشاهد لا يمكن ترجمتها إلى كلمات : رأينا الخوف والرعب كانا سائدين إلى حد أن الناس هنا أصبحوا يعيشون حالة هيستيرية مليئة بما هو أكثر رعباً من الدموع !) .

في هذه الحوادث تم اجتياح ١٠٣ قرية مسلمة هجرها سكانها فراراً من القصف والحرق الذي أتى على ١١٧ مسجداً ، وكان مجموع من أجبر على الهجرة ٣٠ ألف مسلم قبرصي أرغموا على الاقامة في الخيام لمدة ١١ عاماً ! .. وأبعد بقوة السلاح جميع الموظفين المسلمين عن وظائفهم في الحكومة المشتركة ومن بينهم مساعد رئيس الجمهورية وثلاثة وزراء ! .. وأمام المذابح المستهدفة مسلمي قبرص على كافة المستويات وقفت بريطانيا واليونان موقف الذي لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم ! .. رغم مسئوليتهما مع تركيا بصفتهم دول اتفاقية الضمان

التي عليها أن تضمن حقوق الأقلية المسلمة المنصوص عليها في الدستور القبرصي ـ حتى تتدخل تركيا لوقف إطلاق النار بين الأطراف المتصارعة .

لا تتوقف المذابح طوال فترة الستينات ، و يقرر مكاريوس ـ (صديق عبد الناصر) ـ تنحية الدستور جانباً ، و ينكر جميع حقوق القبارصة المسلمين ، و يطلق لهواه العنان في إدارة الجزيرة ذات الشعبية : المسلم واليوناني من قبل حكومة لا تمثل سوى اليونان الأرثوذوكس ! .. و يصرح رئيس الوزراء جورج باباندريو في ١٠/١٩٦٤ : « قبرص يجب أن تكون نقطة انطلاق لأحلام الاسكندر الكبير ! » ومع نهاية الستينات يتصاعد مسلسل الارهاب في السبعينات وتستمر سياسة الابادة والمجازر ضد المسلمين كعقيدة ثابتة ، حتى بعد الانقلاب العسكري الذي أطاح بمكاريوس وأدى إلى هربه من الجزيرة في ١٥/٧/١٩٧٤ ، حتى يكتب صحفي بجريدة « فرانس سوار » في ٢٤/٧/٧٤ « لقد رأيت بأم عيني حوادث مخجلة يندى لها الجبين ، إذ أن المسيحيين الروم قد قاموا باضرام النار في بيوت المسلمين وجوامعهم الموجودة بالقرى المحيطة بمدينة ماغوسا ، والمسلمون العزل من السلاح يضطرون إلى الهرب إلى الغابات والهضاب المجاورة أمام هول الحوادث والرعب .. فنيران البازوكا الرومية تحدث فوضى و بلبلة في القرى المسلمة .. والقرويون المسلمون الذين استطاعوا اللجوء إلى المرتفعات القريبة لم يعد في وسعهم شيء سوى رؤية عمليات النهب والتدمير الجارية في قراهم و بيوتهم ! .. إن تصرفات العصابات الرومية لا يمكن أن توصف .. إنها تصرفات يندى لها جبين الانسانية ! » .

وإثر الفضائح التي كشفت عنها المقابر الجماعية لجثث المسلمين أطفالا ونساءاً وشيوخاً ، يعترف مؤتمر جنيف بوجود إدارتين ذاتيتين في جزيرة قبرص . واحدة للمسلمين والاخرى للروم . لكن مكاريوس ما يلبث أن يعود إلى قبرص ، بعد خمسة أشهر من عزله ، بموافقة اليونان وأمريكا وبريطانيا و يتسلم من الانقلابيين منصبه كرئيس لجمهورية قبرص من دون إعادة انتخابه كما ينص الدستور القبرصي !

ولا ينجح ممثلو الجانب القبرصي الاسلامي في الوصول إلى تحقيق إنجاز إيجابي مع مكاريوس الصليبي المتعسف إلا قبل وفاته بشهور قليلة ، حين يلتقي رؤوف دنكتاش مع مكاريوس في ١/٢٧ ، و ١٢/٢/١٩٧٧ . بحضور كورت فالدهيم السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة و يتم الاتفاق على مباديء لحل الأزمة القبرصية . تقترح تأسيس جمهورية



رؤوف دنكطاش

قبرصية اتحادية مستقلة ، محايدة مكونة من طائفتين : إسلامية تركية ، ومسيحية يونانية ، ولكن الأزمة ما تلبث أن تشتعل مرة أخرى بعد وفاة مكاريوس ومجيء سبيروس كبريانو الذي يعلن أنه رئيس كل قبرص من دون أن تشترك الطائفة الاسلامية في اتخاذ قرار اختياره . و يرفض كبريانو المقترحات القبرصية للطائفة المسلمة التي يطرحها دنكتاش في الأمم المتحدة على أساس أنه الوحيد الذي يمكنه التكلم باسم قبرص ، و يطلب لقاء رئيس وزراء تركيا رافضاً اللقاء برئيس الطائفة القبرصية المسلمة رؤوف دنكتاش .

ولا يتم لقاء بينهما حتى ١٩/٥/١٩٧٩ ، حين تنجح مساعي فالدهيم في إقامة اجتماع قمة لهما على الخط الأخضر ، الذي يفصل بين المنطقة الاسلامية والمنطقة الرومية ، و يتوصل الطرفان إلى اتفاق جديد يقبل بنود اتفاقية دنكتاش ـ مكاريوس الموقعة في ١٢/٢/١٩٧٧ .

و يؤكد الجانب المسلم في هذا الاجتماع أنه يتمسك بالمفاوضات من أجل تحقيق السلام في قبرص على أساس التوصل إلى حل يضمن حقوقه وأمنه في إطار لا يعيد إلى قبرص مسلسل المذابح الصليبية ضد المسلمين مرة أخرى .

لكن الجانب الرومي لا يستطيع أن يلتزم باتفاقياته ، وهاجسه الصليبي يلح عليه بأحلام إقامة إمبراطورية إغريقية ـ هيلينية ، تضمه مع اليونان في عالم لا يكتمل جماله في أعينهم إلا باسالة الأنهار الحمراء من دماء المسلمين ، متعاونين في ذلك مع خطة صليبية ـ صهيونية ـ عالمية ، لقصم ظهر المسلمين في كل مكان ، والاستعانة في ذلك بكبرائهم وسادتهم ! ، حتى لا تقوم للاسلام قائمة ولو على أرض الاسلام ، فهل يلام القبارصة المسلمون بعد ذلك على **إعلان انفصالهم وقيام جمهوريتهم الاسلامية** ولو من طرف واحد يرفضه مجلس الأمن .. وما جرى تسميته المجتمع الدولي ؟ ..

والجانب القبرصي اليوناني الصليبي لا يكف عن غناء أنشودته المفضلة المختارة له من قبل قساوسة الكنيسة الصليبية :

« تعالوا لننتقم من الأتراك المسلمين ، ونقتلهم ، بسيف ناعم ! »

أمير المؤمنين يعلن الحرب على الاسلام !

أصدرت المحكمة الابتدائية بالدار البيضاء أحكامها في حق الشباب الاسلامي في القضية المعروفة بقضية الـ ٧١ ..

وقد كانت أحكامها كالتالي :

١ ـ ثلاثة عشر شخصاً حكموا بالاعدام من بينهم ٧ في حالة فرار، أما أسماء المحكوم عليهم حضورياً فهي :

المرجاوي مصطفى ، السفير عبد القادر، الشايب أحمد ، جاو أحمد ، شهيد أحمد ، الشرقاوي والرباطي يوسف .

٢ ـ السجن المؤبد على اثنين وثلاثين شخصاً من بينهم ثلاثة عشر غيابياً .. وأسماء المحكوم عليهم حضورياً هم :

تعزي عبد الله ، الراجي مصطفى ، براقز مصطفى ، فوزي مصطفى ، الداري محمد ، مرقيات أحمد ، النويني حميد ، كنداري بو شعيب ، زهير أحمد ، حقيقي محمد ، المكناسي عبد الرحيم ، روان عبد الرزاق ، بوطاهر عبد الغني ، نبيو محمد ، بو عبيد عبد الصمد ، مرغيش حميد ، الرطيبي مصطفى ، بغثى خالد ، رواني مصطفى ، العوان محمد ، وحجاجي محمد ..

٣ ـ السجن لثمانية متهمين بعشرين سنة كلهم حكم عليهم حضورياً وهم :

حريق عبد العالي ، الهواري عز الدين ، مصباح بوشعيب ، أبت ناجم مصطفى ، الحنقالي محمد ، مادي الصديق ، القلوي الحسيني حسن ، وحيدو عبد الله .

٤ ـ وعلى تسعة متهمين بالسجن لمدة عشر سنوات :

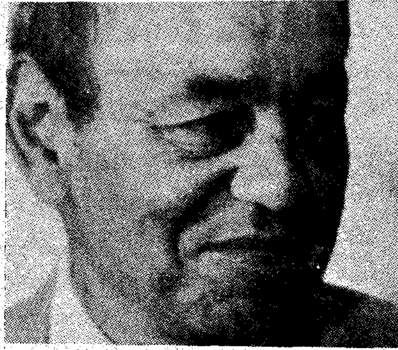
فرض الحسين ، ملاحظ العربي ، ديفلا عبد الرحيم ، الزايدي رضوان ، بلكرد عبد الله ، الادريسي الودغييري حسن ، حبوشي عبد الله ، كميل عبد الرمادي ، والعماري عبد الله .

٥ ـ وعلى خمسة متهمين بأربع سنوات سجناً وغرامة قدرها ٥٠٠٠ درهم ! .. وهم :

كردادي سعيد ، بوعبيد نور الدين ، لشكسر عبد الرحيم ، حباط الشرقي ، الشطاح أحمد ، الشرايبي سعد ، لبيض حسن .

وقد حوكم الاخوة بتهمة التآمر ضد النظام والمس بشخص الملك ، والانتماء إلى تنظيمات سرية ، والاتصال بجهات خارجية (!) . وتوزيع مناشير ضد الحكم .

أن يحكم على شخص بالاعدام من أجل منشور، أو بالسجن المؤبد من



أميـــر المؤمنين

أجل رأي له في النظام القائم .. فشيء غير منطقي ولم يحدث في ظل أي نظام مهما بلغت دكتاتوريته وتعسفه ، من قبل .

إن الأحكام الصادرة ، ترمي إلى أبعد من هذه المحاكمة ، إنها إعلان رسمي بحرب الاسلام والعمل الاسلامي بكل فصائله ! .. المعتدلة منها والمتطرفة ، وإلا فكيف نفسر مظاهر متعددة لهذه المحاكمة :

١ ـ لقد وجه النظام بعد الانتفاضة الشعبية في يناير ٨٤، أصابع الاتهام إلى ثلاثة أطراف : الموساد والماركسيين والخمينيين .. وقد كان المؤتمر الصهيوني الذي عقد في مايو ٨٤ بالرباط، بمثابة اعتذار ملكي عن ذلك الاتهام ، أما الماركسيون ، فقد ذوبهم الحكم في محاكمات شملتهم ـ إلى جانب متهمين آخرين من الشعب المغربي ليس لهم اي انتماء سياسي معين ـ ولم يحاكموا بتهمة الماركسية مثلا ! .. أما الاسلاميون ، فالنظام عقد لهم محاكمة خاصة بهم ، غطتها الصحف الوطنية على غير عادتها ، وذلك مما يدل على أن الصراع الدائر الآن في المغرب أصبح بين النظام من جهة والتيار الاسلامي من جهة ثانية .

٢ ـ إن المحاكمة قد شملت اتجاهات متعددة ولم تقتصر على مجموعة الثورة الاسلامية المغربية صاحبة المنشور الذي ظهر به الحسن في التلفزيون غداة الانتفاضة ، وأغلبية المحاكمين اعتقلوا ابتداءاً من مايو ١٩٨٣ ، وإذا بهم يلحقون بأحداث يناير ١٩٨٤ ! ..

ولما لم يجد الحسن تهمة تصلح كمبرر لأحكام قاسية ضد الشباب الاسلامي ألصق بهم تهمة الخمينية ، وهي تهمة أصبح يستعملها كل طواغيت العالم الاسلامي ضد أبناء الحركة الاسلامية الجادة .

بقي أن نتساءل ، هل سيمضي الحسن الثاني في تحديه للتيار الاسلامي إلى النهاية .. فيطبق حكم الاعدام في الستة الموجودين في سجن الدار البيضاء ، مع كل ما يحمله هذا الطريق من مخاطر ؟

وهل سيعي الاسلاميون هذا التحدي فيكونون في مستوى المواجهة والمهمة التاريخية الملقاة حالياً على عاتقهم ؟ .

ذلك ما ستجيبنا عليه الأيام القليلة المقبلة ..

علي حسن البيضاوي

باختصار ...

• قامت قوات الاحتلال الصهيوني الكافر بالقاء القبض على الشيخ المجاهد الأستاذ عبد العزيز عودة يوم الجمعة ١/٩/١٩٨٤ م ، والقته في سجن غزة المركزي ، حيث يتعرض لكل أنواع الاضطهاد .

الأستاذ الشيخ فرضت عليه الاقامة الجبرية لستة شهور في سبتمبر الماضي ، ثم جددت لستة شهور أخرى في مارس الماضي ، وكان مايزال تحت الاقامة الجبرية حين تم اعتقاله .

هذا و يأتي اعتقال الأستاذ الشيخ عبد العزيز ، في الوقت الذي تتعرض فيه الحركة الاسلامية في الوطن المحتل لهجمة شرسة ممتدة منذ أكثر من عام ، تم فيها اعتقال المناضل الدكتور فتحي عبد العزيز والعشرات من الشباب المسلمين ، ثم اعتقل الأستاذ الشيخ احمد ياسين الذي يعاني من عجز عن الحركة الكاملة منذ سنوات وقد تعرض هو أيضاً ككل المجاهدين المسلمين للاضطهاد اللا إنساني .

إن الحركة الاسلامية بكل جماهيرها مطالبة اليوم بالتضامن مع أبناء الاسلام في الوطن المحتل وهم يواجهون أشرس أعداء الأمة و يدافعون عن أقدس مقدساتها بدمهم وأرواحهم .

• في حديث للنهار العربي والدولي (٢٧/٨ ـ ٢/٩) قال عرفات : أن الغرب قد قبل واعترف بوجود كانتونين ـ حتى الآن ـ في لبنان هما الكانتون الدرزي والماروني ، والبقية ستاتي . فمنذ خروجه من بيروت وعرفات يؤكد في كل أحاديثه على المشروع القديم الجديد لتقسيم لبنان والمنطقة طائفياً ، الجاري تنفيذه .


عرفات

• أحمد بن بله في حوار شامل مع الشراع (٢٠/٨) قال : « عندنا اتصال مستمر مع التيار الاسلامي ـ في الجزائر ـ ونحن ننسق معه ، وإن كان يأخذ على بعض الأفكار ، مثل التحالف مع الشيوعيين لكن الثقة موجودة بيننا والاطار جاهز ، ولا توجد مشكلة رئيسية . »
وقال أيضاً : « إن الحركة من أجل الديمقراطية هي حركة واسعة ، ونحن نرفض حتى تسمية الحزب رفضاً كاملا ، هي حركة واسعة ذات حساسية عربية اسلامية ، وهي بدورها رافد صغير لعمل أكبر » ، وقال : « أنا وفي لجمال عبد الناصر ، وسأبقى وفياً مدى الحياة ، ولكنني لا أدعي أي منصب أو موقع ، أنا أفضل أن أكون مناضلا للناصرية ، وإنني اتعامل مع الاخوة الناصريين العرب ، وعلى اتصال دائم معهم واللقاءات دائمة والثقة بيننا موجودة » .

• الاستياء السوري من مشروع الوحدة الليبية ـ المغربية ، قد يؤثر على وضع المجموعات الفلسطينية واللبنانية ذات العلاقات الوثيقة مع طرابلس ، والمتمركزة في سوريا ومناطق النفوذ السورية في لبنان .

• أعلن الصباحي رئيس ومؤسس حزب الأمة عن تجدد الاتصالات بينه وبين الاخوان المسلمين بهدف التحاقهم بالحزب . وقال الصباحي أن الحوار سينجح هذه المرة لأن الاخوان على وشك الخروج من الوفد . وكان الحوار بين الطرفين قد توقف قبل الانتخابات لأسباب كثيرة ، الصباحي أكد على أن حزب الأمة هو الأقرب للاخوان ، وأن الوفد هو حزب علماني .

• اتفاق صدام ـ طالباني ، وصل إلى طريق مسدود ، وذلك بعد أن استمر الطرف الكردي على مطالبه بتوسيع رقعة الحكم الذاتي وإنشاء جيش كردي نظامي . هذا في حين يستمر وقف إطلاق النار سارياً بين صدام والطالبانيين ، الاتفاق لا يشمل بالطبع المجموعات الكردية الاسلامية .


صدام

● قالت الأنباء الواردة من أفغانستان المحتلة ، أن قوات الاحتلال الروسية قد أزالت أربع قرى عن بكرة أبيها خلال شهر يوليو الماضي ، وأن أكثر من ١٥٠ من الأهالي استشهدوا خلال القصف العشوائي ، من هذه القرى (سارجو وسينغار وتشمكان وسقاوا) .. وقالت مصادر وكالة الأنباء الأفغانية في طالقان ، عاصمة تاخار ، أن القصف والهجوم العشوائي الروسي على مواقع المجاهدين في المنطقة وفي « سيار نصر » قد أدى إلى استشهاد القائدين المجاهدين محمد هاشم وعلي قل ، إضافة إلى ١٨ آخرين من المجاهيدن .

● وخلال هذه المواجهة أسقط المجاهدون طائرتين روسيتين إحداهما من طراز ميج والأخرى هليكوبتر ، وأباد المجاهدون ٤٢ من الجنود الروس وأصابوا ٦٨ منهم وغنموا كميات من الأسلحة والذخائر بعضها من حطام طائرة أسقطت .


حسين موسوي

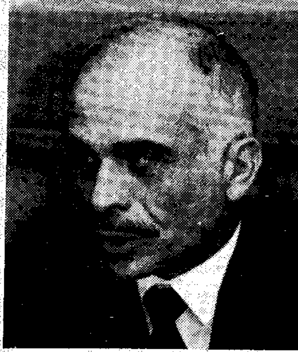
● لاحظ المراقبون أن وزيرين من الوزراء الخمسة في حكومة حسين موسوي رئيس وزراء إيران الذين لم تجدد لهم الثقة من مجلس الشورى الاسلامي الجديد ، ينتميان ـ فكرياً على الأقل ـ إلى تيار « الحجتية » الذي يتحفظ على فكرة الجمهورية الاسلامية وولاية الفقيه ويدعو إلى استمرار « القعود والانتظار » حتى ظهور الامام المهدي . وقد أشار المراقبون أيضاً إلى أن التعديلات في وزارة موسوي تعبر عن التركيبة الجديدة للمجلس ، حيث عززت القوى الثورية مواقعها . الوزيران المشار إليهما كانا ، وزير التعليم بارورش ، ووزير الدفاع سليمي .

● وسائل الاعلام الروسية تحدثت عن الاسلام في أفغانستان وقالت أن (هناك ٤٠ر٠٠٠ مسجد في أفغانستان ، وأكثر من ٣٠٠ر٠٠٠ ملا « شيخ » وعامل ديني ، وأن هذا يفوق بعض البلاد الاسلامية الأخرى .. وأن في كابول وحدها ٦٤٩ مسجداً) .

● الشيخ حسن خالد ، مفتي لبنان ، اعتبر العمليات الانتحارية (!) التي ينفذها المجاهدون المسلمون في لبنان ضد قوات الاحتلال بمثابة « حالة استشهادية » . فيما قال السيد محمد حسين فضل الله : « بالتأكيد ان العمليات الانتحارية ضد قوات الاحتلال لا تشكل انتحاراً ذاتياً ، كما لو أن فاعلها إنسان يائس ، وإذا أخذنا عملية اقتحام مقر الحاكم العسكري في صور ، وهي العملية الذائعة الصيت ، نموذجاً ، لرأينا في تنفيذها قمة الجهاد وقمة الشهادة » هذا ما نشرته الأنباء الكويتية (٨/٧) .

● الحزب القومي السوري ، صاحب الدعوة إياها باقامة دولة الهلال الخصيب ، انتخب في مؤتمره الأخير رئيساً جديداً للحزب ليحل محل إنعام رعد . الرئيس الجديد ، سوري الأصل فيما السابق لبناني ، ولعل ذلك يحمل دلالة ما .

● مضر بدران رئيس الوزراء الأردني السابق ، ووزير شئون الأراضي المحتلة في وزارته حسين إبراهيم ، طالتهما الاتهامات التي هزت أركان النظام الأردني في الأشهر الأخيرة حول الفساد المالي والاداري والاختلاسات والرشاوى . قبلهما كان مدير البنك المركزي الأردني قد عزل من منصبه وقدم للمحاكمة بنفس التهم السابقة .


الملك حسين
وفضائح النظام

● خط أنابيب النفط العراقي الذي سيمر بالأردن إلى خليج العقبة ، مازال بعيداً عن التنفيذ . في الأشهر الأخيرة تم التوقيع على الصفقة من الأردن والعراق ، كما ضمن الأمريكيون الموافقة الاسرائيلية والتمويل أيضاً ، فستقوم شركة « بكتل » الأمريكية التي ستنفذ مشروع الأنابيب بتمويل نصف تكلفته .. فيما قامت بنوك أمريكية بضمان النصف الثاني .

ونلتقي ...

كدت أمسك بالحنان رائعاً ينساب بين أصابعك أو كلماتك ، لم يكن شيء منك بعيد عنا ، حتى قلبك الذي اتسع لهموم الأمة وآلامها .. كنت كأم حنونة توزعه علينا ، فكان يكبر و يكبر ونحن نكثر ونكثر ، كنت تعلمنا أن الابتلاء والمواجهة العنيفة هما سنة ماضية ، مصاحبة لكل فكرة عظيمة .

مبشراً بانتصار النور والأمل كنت تجيء ، و بكل القوة سرت لا تبالي فما عليك إلا البلاغ المبين مادام عزمك قائم على مواصلة درب الرسل والأنبياء والشهداء .. وكنت تقترب عندما أعلنت بملء اليقين أن الحقبة الاسرائيلية تلف كل شيء فلا بد من النقيض التام .

تكاثرت ، لم تبحث عن السلامة يوماً .. بل الشهادة كانت لغتك والعشق حياتك ، فلا رحلت يوماً إلا حيث المهمة تكون ، وعندما حاولوا أن يحاصروك ، إذا بك تحاصرهم على بوابة الاختيار الصعب .

كانت الفكرة العظيمة تجري على لسانك وفي حركتك بيسر ودونما عناء « إن أخطر عدو يواجه الأمة والانسان أينما كان عبر التاريخ ، يتمركز في بلادنا فلسطين ، كخلاصة لكل الافساد والشر البشري مجسداً في الكيان الصهيوني .. فلا بد إذن أن يكون في مواجهته تمركز الخير وخلاصته ممثلا بامة وطليعة إسلامية كقانون إلهي » .

هل صحيح أنهم وضعوا في يديك الأغلال وسدوا عليك الأبواب !؟ .. أكاد أقسم أن الأغلال كانت في أعناقهم ، فيما أنت تتكامل مع الحلم والقدس .

إن كعبيك اللذين زانتهما سياط العدو، لأسمى من كثير من جباه كبراء القوم الذين تصفعهم الذلة ليل نهار ، إن دمك شاهد على ز يفهم . ها أنت تمتد من بداية التفاؤل إلى قمة العشق ، و برغم الموت القادم .. برغم الفرعون الأكبر ، ها أنت تتقدم وكانك آخر من يعلم أن المرحلة رهن الفوضى المتعمدة ، تتقدم وكأن الوعد الرابض في عينيك يخبر عن مجد الماضي والمستقبل .

يا كل مروج فلسطين في تحديك ، يا ابن الحارات الفقيرة في شموخها ، يا ابن المدن الحدودية شاهدة على ز يف الحدود ، يا ابن كل الناس يرفضون استضعافهم وخوفهم و يقسمون خبزهم على قلة من الفرسان المحاربين في زمن الاستسلام ..

كم نحن مشتاقون اليك !؟ ..

صلاح الدين فتحي



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين

* إسلامية شهرية تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات والنشر – لندن.

* ثمن العدد :

بريطانيا ١ جنيه استرليني. أوروبا وأمريكا ١.٥٠ جنيه استرليني أو ما يعادلها. مصر ٥٠٠ مليماً. دولة الإمارات ١٠ درهم البحرين ٥٠٠ فلساً. قطر ١٠ ريالات. الكويت ٥٠٠ فلساً. السعودية ١٠ ريالات. اليمن الشمالية ٥ ريالات. اليمن الجنوبية ١٠ شلن. الأردن ٣٠٠ فلساً. سوريا ٥ ل. س. لبنان ٥ ل.ل. العراق ٤٠٠ فلساً. ليبيا ٤٠٠ فلساً. تونس ٥٠٠ مليم. المغرب ٥ درهم. الجزائر ٥٠٠ سنتيم. السودان ٤٠٠ مليماً. عمان ٥٠٠ فلساً.

* الأشتراك السنوي: ١٥ جنيهاً استرلينياً أو ما يعادلها
وترسل الأشتراكات الى :

London-Barclays Bank No 20-05-30 Account No 61325671

* المراسلات والأشتراكات على العنوان

B M BOX 27
LONDON
WC 1N 3XX

أو

P.O. Box 21006
Greensboro, N.C. 27420, U.S.A.

